

الوجہ و الرد بآضی

فی مصر



علی بن سالم بن علی الشیخی

الرجاء للإبائي
في مصر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م

نشر وتوزيع:

مكتبة خزائن الآثار

سلطنة عُمان - بركاء

نقال: ٠٠٩٦٨٩٨١٧٧٧٨٩ - ٠٠٩٦٨٩٥٥١٠٠٢٥



الراعي الإعلامي:

موقع بصيرة الإلكتروني

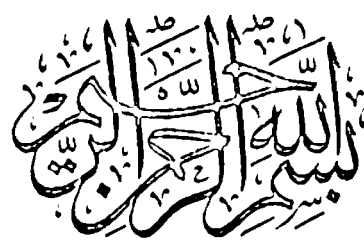
موسوعة إلكترونية في العلوم الإسلامية

لسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي

المفتي العام لسلطنة عُمان

للتواصل: info@baseera.net - www.baseera.net





﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ
عَلَائِكُمُ النَّبِيُّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]



وانتشر المذهب في الآفاق	وضاءت الفجاج بالإشراق
فكان في المغرب أي دولة	لرستميين أهيل الصولة
وهكذا قد قام في قطر اليمن	وحضرموت وإلى أقصى عدن
وفي خراسان وفي العراق	ومصر والبحرين باتفاق
وفي عُمان فلذا جاء المثل	للعلم بالطائر إذ كان انتقل
قد باض بالمدينة الزهراء	أفراخه بالبصرة الفيحاء
ثم إلى عُمان منها طارا	وعمم الآفاق والأقطار ^(١)

(١) خلفان بن جميل السيابي، سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، ط ٢، وزارة التراث والثقافة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ج ٢ ص ٥٦١.

أحب الكتابة في التاريخ؛ لأن التاريخ
هو دراسة الماضي لمعرفة الحاضر،
واستشراف المستقبل.

لِإِخْوَتِي

لِإِخْوَتِي الْحَاضِنِ لِلْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُتَطَلِّعِ لِلْمُسْتَقْبَلِ،
نَشَأْتُ فِي رَحَابِهِ مَفْتَخِرًا بِالِانْتِمَاءِ إِلَيْهِ... (وَطَنِي)

لِإِخْوَتِي نَبْعِ الْحَنَانِ وَنَسِيمِ الْوُدِّ وَالْوَدَادِ، فَقَدْ رَبَّنِي وَلِيدًا
وَرَعْتَنِي كَبِيرًا، صَانِعَةُ الْأَجْيَالِ... (أُمِّي).

لِإِخْوَتِي مِنْ أَضَاءِ لِي فِي ظِلْمَةِ هَذِهِ الْحَيَاةِ بِرَيْقِ الْعِلْمِ
وَالْكَفَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَقَدْ أَدَبَنِي صَغِيرًا، وَوَجَّهَنِي كَبِيرًا...
(أَبِي).

لِإِخْوَتِي الَّذِينَ مَلَأُوا حَيَاتِي تَفَاؤُلًا وَأَمَلًا وَحُبًّا... (إِخْوَتِي).

لِإِخْوَتِي كَلِيَةِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي لَا تَعْلَمُ التَّارِيخَ بِقَدْرِ
مَا تَصْنَعُ التَّارِيخَ، وَلَا تَشْرَحُ الْأَفْكَارَ بِقَدْرِ مَا تَصْنَعُ
الْأَفْكَارَ بِمَنْ فِيهَا مِنْ عُلَمَاءَ وَمُدْرَسِينَ أَفْنَوْا أَوْقَاتَهُمْ
وَجَهَدَهُمْ خِدْمَةَ لُطْلُبَةِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ.

لِإِخْوَتِي كُلِّ مَنْ كَانَتْ لَهُ بَصْمَةٌ فِي حَيَاتِي، وَتَذَكَّرَنِي
بِدَعْوَةٍ، فَانْتَظِرْ مِنِّي أَنْ أَقْدِمَ لَهُ شَيْئًا رَائِعًا.

ملخص البحث

أصل البحث:

هو بحث مقدم لـ (مسابقة ابن عمير للبحث العلمي) سنة ١٤٣٦هـ، وقد حصل على المركز الثالث.

أهمية البحث:

إن اهتمامنا بتاريخ أمتنا وعلمائنا، والبحث عن سيرهم من مكنونات الكتب؛ هو أقل ما يجب علينا فعله اتجاههم، فالاهتمام بسيرهم وتاريخهم يقوي الرابطة بيننا وبينهم، فعندها تتواصل الأجيال بعضها ببعض فتكون حلقة متماسكة، ومما دعاني إلى كتابته، وحداني إلى تصنيفه؛ ما وجدته من دروس آثار الإباضية في مصر، وذهاب المذهب ومتحليه، وقلة طالبيه ومنتحليه، فرأيت أن يخط قلمي سيرتهم، فكتبته على ضعف معرفتي، ونقص بصيرتي، وكلة لساني، وقلة بياني، طالبا للأجر لا للفخر، وللتعلم والدراسة لا للرئاسة، غير مدّع للعلوم تصنيفاً، ولا مبتدع للفنون تأليفاً، لكن لأحيي به همة، وأوقد به عزمًا،

وأرجع به ما أنسي من تاريخ هذا المذهب العريق في مصر،
بالإضافة إلى:

- التعريف بتاريخ المذهب الإباضي في مصر لأصحاب المذهب الإباضي أولاً ثم للآخرين؛ لأنني على يقين بأن الكثيرين من أصحاب المذهب ليس لهم أدنى معرفة عن الإباضية في مصر، وهذا ما اتضح لي في مسيرة بحثي لما يقابلني البعض بالاستغراب والذهول عندما أخبرهم بعنوان بحثي.

- كشف اللثام عن بعض تأريخ رجالات وعلماء الإباضية في مصر المهمل والمنسي.

- كشف النقاب عن دور رجالات الإباضية الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية في مصر.

- إبراز العلاقات التي قامت بين الإباضية في المشرق والمغرب وإباضية مصر.

- بيان للأمة الإسلامية أهمية نظرية التعارف لما سنذكره من انسجام وتآلف وقع بين الإباضية والآخرين في مصر.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة فصول، كل فصل له مباحث، وبعض المباحث لها مطالب، وهي كالآتي:

الفصل الأول: الوجود الإباضي في مصر وأسبابه:

يتحدث هذا الفصل عن بدء الوجود الإباضي في مصر، وتعرضت فيه إلى ذكر أهم الأسباب التي ساعدت المذهب الإباضي على الانتشار في مصر؛ ومنها التسامح في المذهب الإباضي، والموقع المتميز الذي حظيت به مصر، وكيف أنه ساعد على الوجود الإباضي فيها، والاستبداد الذي وقع على الإباضية كيف أنه ساعد على انتشار المذهب، فنتيجة الاضطهاد والظلم الذي وقع عليهم قرر بعضهم البحث عن البلاد الآمنة خوفاً على نفسه ودينه، وذكرت أن وجود الأزد في مصر ساعد على انتشار المذهب الإباضي وأضاف حماية إليه، وأيضاً الحج يعتبر من أسباب انتشار المذهب، فحجاج المغاربة - مثلاً - لا بُدَّ لهم من المرور بمصر؛ ليتزوّدوا لرحلة الحجاز بالغذاء والمحامل، فكان لذلك أثر كبير في انتقال المذهب الإباضي في مصر، بالإضافة إلى التجارة التي قامت بدور بارز في نشر المذهب الإباضي في مختلف المناطق التي تاجروا فيها التجار الإباضية، وأيضاً حملة العلم لهم شأن كبير في نشر المذهب الإباضي في مختلف الأمصار منذ عهدهم الأول، وذكرت في هذا المطلب جملة من حملة العلم الذين هاجروا إلى مصر فكان لهم بصمة فيها، وذكرت أن طلب العلم أسهم في نشر المذهب الإباضي في مصر، فطلاب أبي عبيدة كوّنوا مدرسة في مصر.

الفصل الثاني: دور الإباضية في مصر:

ذكرت فيه أن الإباضية أينما حلوا وارتحلوا وضعوا بصمة خير، فلم يكن الإباضية في مصر بمعزل عن الحركة العلمية والاقتصادية والسياسية التي شملت أطراف المصريين، بل كان لهم قدم، صدق وقول حق في هذه المجالات منذ عهدهم الأول، فقد كان لهم دور بارز في الجانب الديني، وكذلك ظل الإباضية يمارسون نشاطهم الثقافي عبر مسيرتهم من خلال عدد من الأنشطة؛ أبرزها وكالة الجاموس^(١) والمجلات والمطابع.

وتطرت إلى دور الإباضية في الحركة الاقتصادية من خلال التجارة الداخلية والخارجية، ثم ذكرت الدور الذي قام به الإباضية في مجال السياسة فقد تميزت المدرسة الإباضية منذ نشأتها بعدم الفصل بين الدين والدولة.

وأخيرا تعرضت لدور الإباضية الاجتماعي؛ فإنهم لم يجدوا غضاضة من الانسجام مع المجتمع المصري، فكُونوا علاقات وطيدة مع بعضهم البعض.

الفصل الثالث: التواصل بين مصر والإباضية:

عرجت فيه إلى أهمية التلاحم والترابط بين الجماعة في حياة بني البشر، فبهما تقوى العلاقات، وتساعد نفسها على الاستمرار

(١) وكالة الجاموس وهي وقف أنشئ للطلبة الإباضيين اللذين يقصدون مصر للدراسة في الأزهر. النامي، دراسات عن الإباضية، ص ١٣٦.

والدوام، وتبعد نفسها عن التفرق والتشتت، وذكرت في هذا الفصل التواصل القائم بين الإباضية المصريين وإباضية البصرة وعمان واليمن وشرق إفريقيا، ثم تعرضت إلى ذكر التواصل بين الإباضية المصريين وإباضية المغرب، وفي المبحث الأخير ذكرت أسباب انحسار المذهب الإباضي في مصر، ثم عرجت إلى ذكر العلاقة الحاضرة بين الإباضية ومصر.

كنت مستمتعا وأنا أكتب حروف هذا البحث على الرغم من زحمة الأعمال، واشتغال البال؛ لأنني كنت أعيش في مغامرة البحث عن الكنز المفقود في مؤلفات العلماء، وأرجو أن تعيش أنت أيضا متعة الاستمتاع بهذا الكنز.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل العبرة لذوي العقول والأفهام، بما جرى من سالف الأزمان، والصلاة والسلام على أفضل الخلق سيرة ومنزلة محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فمن حكمة الله تعالى أن تتوزع الأمة الإسلامية إلى فرق ومذاهب وطرائق مختلفة، ويخرج المسلم إلى هذه الحياة فيجد نفسه موصوفاً بوصف زائد على الإسلام - إباضي أو سني أو شيعي -، وكلها لها أفكارها وتأريخها، وليس كل تأريخ يعبر عن تأريخ الإسلام، ولو كانوا مسلمين بالاسم واللسان، فتأريخ الإسلام هو تأريخ التطبيق الحقيقي للإسلام في تصورات الناس وسلوكهم، وفي أوضاع حياتهم، ونظام مجتمعاتهم^(١)، ومن هذه المجتمعات المجتمع الإباضي الذي حافظ على أصوله ومنطلقاته رغم التيارات التي مرت به.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار ابن خلدون، القاهرة، ج ١، ص ٥٣٣.

وقد هداني خاطري إلى إعداد هذا البحث الذي يتحدث بسطوره عن الإباضية في مصر، ولقد بينتُ في مطلع البحث الأسباب الداعية لكتابته.

إن الكتابة عن التاريخ بشكل عام، وعن تاريخ طائفة من الطوائف بشكل خاص هو أمر عظيم وخطب جلل؛ لأن الدخول في هذا المضمار يحتاج إلى قراءة متأنية، وقراءة عميقة ودقيقة في تأريخ تلك الطائفة ومن حولها، والذي لا يقرأ قراءة استقرائية من كتب أصحابها نجده أنه وقع في مستنقع مداد المحرفين، فبدل أن يزيح الظلام الدامس الذي أظلم على تلك المعلومات؛ نراه أنه زاد الطين بلة، والمريض علة، فأرعى الستار عليها، وزاد الليل ظلاما حالكا، «فلا تثقن بما يلقي إليك من ذلك، وتأمل الأخبار، واغرضها على القوانين الصحيحة؛ يقع لك تمحيصها»^(١).

وبهذا كله تأتي ضرورة التنقيب عن مكونات المذهب الإباضي، فقد حاولت في هذا البحث أن أذكر كل معلومة أحصل عليها تتحدث عن المذهب الإباضي في مصر، ولم أستطع تمحيص كل رواية ذكرتها؛ لكي لا يقال: من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب، ولكنني عقت وناقشت المعلومات التي استطاع قلبي أن يمتد إليها، وطرحت حولها بعض التساؤلات؛ لأنني نقلت من كتب المؤرخين، فهي مصادر ثمينة للباحث المدقق الذي يأخذ على

(١) تأريخ ابن خلدون، المقدمة، ص ١٨، نقلا عن الحجري، الإباضية ومنهجية

عائقه مهمة التمحيص، ولكن يعيبها بالنسبة للقارئ وطالب العلم غير المتمرس أنها تغرقه في خضم من الروايات والوقائع المتضاربة أو المتناقضة أحيانا، فلا يعرف لنفسه طريقا للخلاص منها بنتيجة محددة، فلا هو يملك الصبر ولا المقدرة الفنية التي يستطيع بها أن يمحس كل الروايات المختلفة، ويرجح بعضها على بعض^(١).

المنهج المتبع في البحث:

- سلكت في البحث عدة مناهج، وذلك للحاجة إليها؛ أبرزها:
 - المنهج الاستقرائي: فقد شرعت من أول الكتابة في البحث باستقراء كتب التاريخ التي أشعر أنها تتحدث عن موضوع بحثي، وخاصة أن هذا الموضوع لا تجده في فهارس الكتب، فقط بين سطورها مغمورة بالكم الهائل من المعلومات.
 - المنهج التاريخي: حرصت أن يكون هذا المنهج معي في كل المباحث والمطالب، فكل موضوع أرتبه على حسب ترتيبه الزمني، فمن الأمور المهمة في البحوث التاريخية؛ العناية بسرد الأحداث عن طريق التسلسل الزمني.
 - المنهج التحليلي: أقوم أحيانا بتحليل معلومة ومناقشتها، وطرح بعض التساؤلات حولها.
 - المنهج الوصفي: ظهر هذا المنهج في الفصل الثاني أكثر من غيره، لأنني أصف فيه دور الإباضية في مصر.

(١) محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص ١٠.

الوجود الإباضي في مصر وأسبابه

المبحث الأول: الوجود الإباضي في مصر.

المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب الإباضي في مصر.

- المطلب الأول: التسامح في المذهب الإباضي.

- المطلب الثاني: طبيعة مصر.

- المطلب الثالث: الاستبداد الأموي السياسي

في مواجهة المذهب الإباضي.

- المطلب الرابع: وجود الأزد في مصر.

- المطلب الخامس: الحج.

- المطلب السادس: التجارة.

- المطلب السابع: حملة العلم (وجود العلماء

من الإباضية).

- المطلب الثامن: طلب العلم.

المبحث الأول



الوجود الإباضي في مصر

عند حديثنا عن وجود المذهب الإباضي في مصر لا بد أن تكون لنا خلفية واسعة عن نشأة المذهب وتطوره ومؤسسيه وغيرها من الأمور التي لا تخفى على القارئ الكريم؛ لأنه مفتاح لفهم الذي يترتب عليها من أفكارهم وانتشارهم في شتى البقاع من هذا العالم، ولم أشأ أن أعطر بحثي بذكر هذه الأشياء، فقد أردت أن يكون البحث منصبًا على الإباضية في مصر، ومن أراد معرفة ذلك يرجع إليها في الكتب التي تتحدث عن المذهب الإباضي بصدق وإخلاص.

شاءت حكمة الله تعالى أن تنقسم الأمة الإسلامية إلى فرق ومذاهب وطرائق مختلفة، ويخرج المسلم إلى هذه الحياة فيجد نفسه موصوفاً بوصف زائد على الإسلام - إباضي أو سني أو شيعي -، وكلها لها أفكارها وتاريخها تجتمع فيما بينها في الأصول، وتختلف في بعض الفروع.

ومن هذه المذاهب المذهب الإباضي، فالفكر الإباضي عميق

الجدور في التاريخ الإسلامي؛ إذ يعود إلى دولة الخلفاء في النصف الثاني من القرن الأول^(١)، فقد كانت بلورته ومركزه مدينة البصرة التي تعد مركز النشأة وتصارع الأفكار، ولصياغة ونشر المذهب بالنسبة للإباضية كما لغيرها من الفرق^(٢).

وكان ذلك في عهد التابعي الجليل جابر بن زيد الذي (ت: ٩٣) «أقنع عددا كبيرا من الأزد بالانضمام إلى جماعة المسلمين (الإباضية)، فتبعه قسم كبير منهم، وعلى رأسهم أفراد آل المهلب - رجالا ونساء -.

ومنهم عاتكة بنت المهلب؛ أي: أخت يزيد الذي كان والي خراسان، وكانت من أشد الناس حماسة للمذهب، ولم تبخل بمالها لمساعدة المحتاجين من أهل الدعوة»^(٣)، وبعدما وضع جابر بن زيد أفكار المذهب وسياسته وبعض فقهه بقي نشر هذا الكنز الثمين إلى مختلف المعمورة، فكانت هذه المهمة لأبي عبيدة، «ومن معهده السردابي العالمي كان يتابع ما آلت إليه أحوال المسلمين، فيرى أنه لا بد من تصحيح صورة الإسلام التي شوهت

(١) حسين عبيد غانم غباش، عُمان الديمقراطية الإسلامية، دار الجديد، بدون تاريخ، ص ٥١.

(٢) بيير كوبرلي، مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، دار الفرق، ٢٠١١م، ص ٢٣.

(٣) انظر: يحيى محمد بكوش، فقه جابر بن زيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

مع هذه الشعوب؛ حتى لا يرجعوا إلى كفرهم»^(١)، فقد بلغت الدعوة في عهده مبلغا عظيم بما يتمتع به من تنظيمات سرية وجهرية في الدعوة، وانتشر في مختلف البلاد، فلم ينحصر الفكر الإباضي في بلد محدود، أو جنس مخصوص، فحضورهم كان في مواطن شتى من بلاد الإسلام - مشرقا ومغربا -، ومن خرسان إلى الجزيرة العربية، وإلى مصر، وإلى بلاد المغرب، وإلى إفريقيا السوداء.

كما يشمل الجنس العربي في جزيرة العرب، والأمازيغ ببلاد المغرب، والزنوج بالقارة السوداء^(٢)، فالإباضية ظلوا - ولا يزالون - يصنعون التاريخ مع غيرهم، ولم يكونوا يوما ما في جزيرة معزولة عن مجريات الواقع في العالم الإسلامي، فتراجع أعلامهم جزء من تراجع غيرهم، وتأريخ أحداثهم جزء من تأريخ غيرهم^(٣). وبما أن الفكر الإباضي عميق الجذور في التاريخ الإسلامي، وينتمي إلى رمز عظيم، وهو جابر بن زيد، ويحتوي على شخصيات مهمة أمثال أبي عبيدة، وكان حضوره بارزا ولم يكن معزولا عن مجريات التاريخ الإسلامي؛ فقد كانت حركته «من

(١) أحمد بن سعود السيابي، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر، مكتبة الضامري، مسقط، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ١٤.

(٢) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ١٥.

(٣) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ص ١٥.

أغنى الحركات الإسلامية وأخصبها من حيث الإنتاج الفكري، سواء على مستوى التشريع والفقه، أو على مستوى الشهادات الخاصة بضرورة الإمامة في عُمان، وبتأريخ الإباضية في بعض المناطق العربية»^(١).

والناظر إلى التاريخ يجد أن أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني هي فترة شبه استقرار، وهي الفترة التي انتشر فيها المذهب الإباضي خارج تأسيسه، وفي مصر خاصة نجد أن هناك جملة من الأزد^(٢) تربعوا مناصب في مصر، مما ساهم في انتشار المذهب تسامح الخلفاء الأمويين أمثال سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز مع من يخالفونهم في الفكر، ووفد أبي عبيدة إلى عمر بن عبد العزيز شاهد على ذلك.

في هذه الأجواء لم يتوان قادة الإباضية عن نشر المذهب الإباضي خارج البصرة؛ وذلك بواسطة الدعاة المدربين الذين كان يرسلهم أبو عبيدة لتلك الولايات لنشر المذهب الإباضي، وقد عرفوا في تأريخ الحركة الإباضية باسم حملة العلم؛ أي: الذين حملوا العلم من منابعه الأصلية في البصرة، ونقلوه إلى الأمصار^(٣)، كان الدعاة الذين يرسلون إلى الأمصار على نهجين:

(١) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص ٢٨.

(٢) سأحدث لاحقاً أن وجود الأزد من الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب الإباضي في مصر.

(٣) عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ط ١، ص ١٠٣.

فإما أن يكونوا من نفس البلد التي نشأ فيها، وإما أن يكونوا من غير أهل البلد، وربما أول من قدم إلى مصر وبلاد المغرب داعياً للمذهب الإباضي هو سلمة بن سعد الحضرمي في بداية القرن الثاني للهجرة، ومن حملة العلم إلى مصر شعيب بن المعروف، وأبو إسحاق إبراهيم ومحمد بن عباد، وابن اليسع، وأبو المؤرج عمر بن محمد، وعيسى بن علقمة^(١) وهو من متكلمي الإباضية، لديه كتاب مفقود بعنوان «كتاب التوحيد»، وهو أقدم مؤلف كتبه الإباضيون في شمال إفريقيا^(٢)، فعادوا إلى مصر بعدما أخذوا العلم من مصر، فنشروا المذهب بين الناس، واعتنقه على أيديهم عدد من المصريين، فانتشر المذهب الإباضي في جزيرة العرب

(١) انظر:

- أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، وزارة التراث والثقافة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ١، ص ١١٢.

- سالم بن عبد الله الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث والثقافة، ص ١٤٧، ١٨٤.

- د. رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري، ١٩٩٠م، ص ٨٤.

- سالم بن حمود السيابي، طلقات المهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، وزارة التراث والثقافة - مسقط، ١٩٨٠م، ص ١٣٣.

- أحمد بن حمد الخليلي، أماكن انتشار المذهب الإباضي في شمال إفريقيا، مكتبة الضامري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م، ص ١٤.

(٢) أم تش كاسترس - بيلوغرافيا الإباضية، ج ١، ص ٦٢٠، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عُمان، ط ١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

وما جاورها كالعراق ومصر^(١)، فقد انتشر بين سكان الواحات الضاربة في أعماق صحراء مصر^(٢) هي الصحراء الواقعة غرب مصر المحاذية لليبيا^(٣).

«انتشر المذهب في مصر دون أن يلقي معارضة كبيرة، خاصة وأن الأمويين اشتغلوا بالثورات والفتن التي قامت في أنحاء الدولة في أخريات عهدهم؛ حتى جاء عصر الخلافة العباسية في عام ١٣٢هـ/٧٥٠م»^(٤)، وهذه الفترة هي التي كوّنت المذهب الإباضي، ورسخت مبادئه وأفكاره في مصر، فقد استغلوا الفرصة لنشر أفكارهم بين أطراف المجتمع المصري، وكما يقول الشاعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فعقبى كل خافقة سكونٌ
ولا تغفل عن الإحسان فيها فلا تدري السكون متى يكونُ

(١) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان، ص ١٠٧.

(٢) انظر:

- محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء البسوعيين - بيروت، ١٩٠٨م، ص ١٥٣.

- صالح باجينة، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار أبو أسامة - تونس، ١٩٧٦م، ص ٣١.

- رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري، ١٩٩٠م، ص ١٠٢.

(٣) انظر: الملحق الخريطة، ص ١٥٠.

(٤) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٤٥.

كان للإباضية في مصر نشاط كبير، وكان لهم فيها العلماء البارزون الذين وصلوا إلى درجة الفتيا، وكان لهم وجود قوي؛ حتى أنهم تدخلوا أحياناً في مجرى الأحداث السياسية^(١)، ومن بين هؤلاء شعيب بن المعروف (حي في: ١٧١هـ/٧٨٧م) أحد علماء الإباضية بمصر، تتلمذ على يد أبي عبيدة، وفي عهد الربيع كان أحد المنشقين^(٢) عنه، ذهب إلى مصر لنشر أفكاره^(٣)، وسأذكر حادثة لأدلل فيها على أمرين؛ الأول تدخل علماء الإباضية في مجريات الأحداث السياسية خارج مصر، والأمر الثاني وجودهم وهي عندما أخبر الرسولان شعيب وكان عن أمر المغرب^(٤)؛ خرج من غير مشورة المسلمين ومشايخ مصر، بل نهاه خيارهم أن يخرج إلى المغرب...^(٥)، خرج بغير مشاورة أهل مصر، ولا رأي منهم، ولقد نهاه خيارهم أن يخرج وهو عند المسلمين بأقبح المنازل^(٦).

لست بصدد شرح القصة ولمن تأمل فيها يدرك وجود علماء

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨.

(٢) لمعرفة سبب الانشقاق والخلاف الذي دار في عهد أبي عبيدة وبينهم؛ راجع أحمد الشماخي، كتاب السير، ج ١ ص ٩٧.

(٣) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٤٥٨.

(٤) سرحان بن سعيد الأزكوي، كشف الغمة، وزارة التراث والثقافة، ط ٣: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م، ج ٣، ص ٣٩.

(٥) أحمد الشماخي، كتاب السير، ج ١، ص ٢٣٢.

(٦) المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٤.

كبار ومشايخ من الإباضية في مصر، تجمعهم كلمة واحدة ورأي سديد، نتلمسها من قول الشماخي عندما يقول: «خرج من غير مشورة المسلمين ومشايخ مصر» من غير العامة من الإباضية، وهذه الحادثة في وقت مبكر في القرن الثاني من الهجرة في الفترة التي لم يتكون فيها بعض المذاهب.

استمر المذهب الإباضي في الانتشار بين المصريين حتى أصبح له علمائه ورجاله العديدون الذين وثقوا الصلة بين إباضية المشرق والمغرب، وكانوا همزة وصل بين الفريقين^(١)، فرغم انتشار المذهب فيها على يد حملة العلم وبروز عدد كبير من فقهاء الإباضية هناك، إلا أنهم لم يكن بإمكانهم إعلان قيام دولة مستقلة عن الدولة العباسية^(٢)، رغم محاولاتهم الخجولة التي كانت على ترجل وسرعة، ومن غير تخطيط ولا حساب للعواقب، وسأذكرها في دورهم السياسي في مصر حتى أن بعضهم في القرن الرابع أصبح واليا على مصر^(٣).

وقد ظل الوجود الإباضي في مصر حتى بعد سقوط عصر الخلافة الفاطمية في عام ٥٦٧هـ/١٧١٢م وقيام الدولة الأيوبية، فقد

(١) محمد علي الصلبي، حصاد ندوة العلاقات العُمانية المصرية، وزارة التراث والثقافة، ١٩٩١م، ج ١، ص ٢٦٧.

(٢) انظر: د. إسماعيل الأغبري، المدخل إلى الفقه الإباضي، مكتبة الضامري، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٩٤؛ محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨.

(٣) سأذكره في مبحث وجود الأزد.

اعتنى صلاح الدين بهم وبطلبة العلم، فأسكنهم جامع أبي العباس أحمد بن طولون^(١)، وأجرى لهم أرزاقاً في كل شهر، وجعل حكمهم إلى واحد منهم، يمثلون لأمره، ويخضعون لطاعته، ويصدر أحكامه في ما بينهم، فاتسع نشاطهم وكثر عددهم حتى صار لهم رواق في الجامع الأزهر^(٢)، إن جعل صلاح الدين الأيوبي أمر الإباضية لأنفسهم هو أمر يدل على حجم الثقة الكبيرة التي حظي بها الإباضية في نفس صلاح الدين الأيوبي، فيبدو أن هذه الفترة لديهم فترة استقرار واطمئنان في محيطهم.

ولكن بعض الباحثين يشكك في هذه المعلومة مستدلاً على

(١) جامع أحمد بن طولون: هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر، قال ابن عبد ظاهر: ابتداءً في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس بن طولون. انظر: السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١٩١.

(٢) جامع الأزهر: هذا الجامع أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله، وابتداءً بناؤه لست بقين من جمادي الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة إحدى وستين، وجعله الخليفة العزيز بالله جامعة يدرس فيها العلوم الإسماعيلية، وحينما تولى صلاح الدين الأيوبي ملك مصر حوَّله إلى جامعة سنية. انظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١٩٥، أحمد بن سعود السيابي، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر، مكتبة الضامري، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ٤٥.

(٣) بتصرف: محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ١٠١، نقلاً عن محمد يوسف، إن لم تعرف الإباضية، ص ٣.

أن صلاح الدين كانت فيه نزعة مذهبية وعصبية لمذهبه فقط، فيستبعد أنه خصص للإباضية هذه الأشياء، ولكنني قرأت في كتاب حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة غير ذلك فكان مما قاله: «لما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب الديار المصرية، لم يكن بها شيء من المدارس، فإن الدولة العبيدية كان مذهبها مذهب الرافضة والشيعة، فلم يكونوا يقولون بهذه الأشياء، فبنى السلطان صلاح الدين بالقرافة الصغرى المدرسة المجاورة للإمام الشافعي، وبني مدرسة مجاورة للمشهد الحسيني بالقاهرة، وجعل دار سعيد السعداء خادماً للخلفاء المصريين خائقاه، وجعل دار عباس الوزير العبيدي مدرسة للحنفية، وهي المعروفة الآن بالسيوفية، وبني مدرسة التي بمصر المعروفة بزين التجار للشافعي،....، وبني بمصر مدرسة أخرى للمالكية وهي المعروفة الآن بالقمحية»^(١).

وعلى غرار هذه المعلومة لا يستبعد أنه خصص للإباضية هذه الأشياء كما خصص لغيرهم.

وقد ظل الوجود الإباضي في مصر بعد ذلك بين تزايد وانخفاض وبانحسارهم في بعض الأوقات، وسأذكر سبب ذلك لاحقاً، وأحياناً يشد الرحال إلى مصر من أجل العلم أو التجارة، ومن المهاجرين إليها الجربيون، فقد بدأ وصولهم إلى القاهرة بصفة فردية، واستقرارهم بها في أول القرن العاشر الهجري، وقبل تأسيس الوكالة، ثم نشطت الرحلة إلى المشرق لأداء الحج، وللتجارة

(١) السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١٩٨.

وللدراسة، فكثر عدد الجريين، وطاب لبعضهم المقام بمصر فجلب أسرته^(١)، فكوّنوا أسرا وجماعات، وفي هذا القرن تجد هجرة الإباضية إلى مصر بعكس القرنين الماضيين؛ وذلك لأن الفقه الإباضي قد شهد في القرن التاسع تراجعاً وجموداً بالمغرب العربي، وكانت أسبابه سياسية وفكرية، وقد دفعت حركة الضعف في التأليف إلى الرحلة نحو المشرق، خاصة إلى مصر حيث الأزهر الشريف، وفي هذه الفترة استقبل الأزهر العديد من طلاب العلم من الإباضية الذين استوعبوا منهجه، وتعرفوا على أساليبه ومفردات مقرراته^(٢) التي تعينهم على فهم ما كتب علماؤهم.

ولقد وجدت في كتاب (مقدمة التوحيد) الذي علق عليه الشيخ إبراهيم اطفيش^(٣) عندما ذكر صاحب الكتاب ابن عباد،

(١) أحمد مهني سعيد مصلح، الوقف الجري في مصر ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجاً) الأمانة العامة للأوقاف الكويت، ٢٠١٢م، ص ٥٠.

(٢) كلمات محقق كتاب الإيضاح للشماخي، ص ١٣.

(٣) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اطفيش، ولد ببلدة بني يزقن من قرى وادي ميزاب جنوب الجزائر، سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٤م، عرف في الأوساط السياسية والثقافية بكرهه الشديد للاستعمار الفرنسي، الذي نفاه من الجزائر إلى تونس عندما كان أبو إسحاق في تونس، ويقوم بدور ملحوظ ضد الاستعمار جاء إليه قرار الإدارة الاستعمارية ومضمونها «الحكومة الفرنسية تدعوك إلى الكف عن كل حركة عدائية، واختر لنفسك أي بلد شئت خارج هذا التراب»، فقال أختار البلد الذي لا يرفع فيه العلم الفرنسي، فاختار مصر سنة ١٩٢٣م، كان لنفي أبي إسحاق إلى القاهرة - كنانة الله في الأرض - فضل =

فعلق عليه الشيخ إبراهيم اطفيش بقوله: «انظر ترجمته في كتابنا عن أصحابنا في مصر»^(١) مما يعني أن أبا إسحاق قام بتأليف كتاب عن الإباضية في مصر، ولقد بحثت عن هذا الكتاب، وسألت عنه جملة من الباحثين، ولم أحصل على معلومة عنه، فانتظر المستقبل ليكشف عنه ليضيف إلى المكتبة الإباضية خاصة فراغا متروكا له، وليستفيد منه الباحثون.

= كبير فجاهد بقلمه، وناضل بفكره، وعمل بكل جد، ومن عجائب القدر أن تصادف أحداث اعتقالات الإخوان ووفاة الشيخ أبي إسحاق اطفيش كان في شعبان ١٣٨٥هـ / ديسمبر ١٩٦٥م بالقاهرة الذي برحيله أصبح الوجود الإباضي بمصر جسدا بلا روح. انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ١٧ - ١٨ - ١٩، مجلة الحياة العدد الرابع عشر مقال للدكتور مصطفى بن صالح بعنوان الشيخ أبو إسحاق اطفيش فقيها، ص ٥٦. عمرو النامي، ص ٤٠؛ مقابلة مع المنير عبد الحميد بن سعدون بالسكن الداخلي لطلبة كلية العلوم الشرعية بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٣م.

(١) أحمد بن سعيد الشماخي وداود بن إبراهيم الثلاثي، مقدمة التوحيد شروحها، وزارة التراث والثقافة - مسقط، ١٩٨٩م، ص ٩٨

المبحث الثاني

عوامل انتشار المذهب الإباضي في مصر

المطلب الأول: التسامح في المذهب الإباضي:

من الأسباب الرئيسة لانتشار المذهب الإباضي في مختلف المناطق ما يملكه من رصيد يواكب آمال الناس، واعتدال وتسامح الدعاة، والتزامهم بقواعد الإسلام، وما كان يدعو إليه من إصلاح ومساواة وعدالة، وما كان ينادي به من تطبيق لهذه المبادئ في ضوء أخوة الإسلام، التي تجمع الجميع، ولا تفرق بين عربي ومصري وبربري^(١)، هذه المبادئ الاجتماعية هي من صميم المنهج الإباضي، الذي لا ينكره عاقل منصف، فكفانا منهم عبرة، ولهذه المزايا من التضحية والإخلاص للدين والوطن جعلهم تأريخهم المجيد في الطليعة.

فقد تميز الإباضية عن سائر الفرق الإسلامية بأشياء كثيرة، اتبعوا فيها السنة المطهرة لما جفاها كثير من الفرق الإسلامية، أو زهدوا فيها أو عجزوا عنها، فعمل الإباضية بها توفيقاً من الله ﷻ، وتكريماً لهم، فمن لم يعرفهم أو يعرفهم وينكر عليهم فليراجع

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ٨.

صفاتهم هذه التي امتازوا بها، ويضعهم بعد ذلك حيث يشاء، بعدما يكون العلم حجة عليه^(١)، وقد وصفهم أحمد أمين في القرون الأول بقوله: «لقد كان في الخوارج كل العناصر التي تكون الأدب: عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث، وتحمس شديد لها تهون بجانبه الأرواح والأموال، وصراحة في القول والعمل، لا تخشى بأساً، ولا ترهب أحداً، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير إلا كأحدهم، ولا العظيم إلا خادهم....»^(٢)؛ ولذلك ترى أدبهم - قديمه وحديثه - طافح بعصارات مشاعر الألم الذي يحسون به بسبب تشتت الأمة وانحلال عقد نظامها^(٣).

ومن أسباب تقبل المذهب الإباضي في مصر ما ذكره الشيخ علي يحيى معمر عندما قال: لعل التسامح في معاملة المعتدلين من المسلمين، والوضوح في الرأي والعقيدة، والصراحة في قول الحق والعمل به، والاستمساك بالواضح من الدين، كانت من الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب الإباضي في أكثر البلاد الإسلامية^(٤).

إن التسامح وتقبل رأي الآخر هو نبض ينبض في الإباضية، ومستقى من إمامهم جابر بن زيد الذي كان على علاقة حميدة مع

(١) صالح بن داود يوسف، من لا يعرف الإباضية، مطبعة الواحات - غرداية، ١٤٣٠هـ، ص ١٢٨.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢٥هـ، ج ٣ ص ٢٤٤.

(٣) أحمد بن حمد الخليلي، الحق الدامغ، مكتبة الضامري، ط ٢: ١٩٩٢م، ص ١٩.

(٤) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج ٢ ص ٢١.

الحسن البصري الذي كان على منهج آخر، وفي أئمة المذاهب الإسلامية أيضاً تتجسد، فالإمام الشافعي تتلمذ على الإمام مالك، ولكن بعد أن بلغ أشده في العلم والاجتهاد سلك مسلكاً آخر عن شيخه، ولم نقرأ أنه حصل صدام بينهم.

فالتسامح بين فئات الأمة الإسلامية الواحدة هو واجب ديني، وفرض وطني واجتماعي، فالأمة هي أمة واحدة مهما اختلفت في التصورات والاجتهادات^(١)، وهذا ما نجده في الدولة الرستمية، فيقول ابن الصغير حينما يصف الدولة الرستمية الإباضية: «من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم، قربوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك»، وابن الصغير كانت له مناظرات كذلك مع الإباضية^(٢)، لقد كانت هذه المناظرات بينهم مؤطرة بالحب واللين والرد العلمي المنطقي، المبنية على أسس متينة وصلبة، وليست على أرض هشة، وكانت بعيدة كل البعد عن السباب والشتائم فقد كان منهمجهم أن المحاورة لا بد أن تكون بالحسنة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

(١) فهد بن علي بن هاشل السعدي، لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عُمان، الفكر والدعوة - مكتبة الأنفال، بدون تاريخ، ص ٣٣٩.

(٢) محمد نمر المدني، الإباضية أهل الحق والاستقامة، ط ٤: دار دمشق، ٢٠١١م، ص ٣٢.

«وإن من يمعن نظره في التراث الإباضي الفكري - متجردا عن العوامل النفسية، والمؤثرات الوراثة - يدرك كل الإدراك أن الإباضية أكثر فئات هذه الأمة اعتدالا، وأسلمها فكرا، وأقومها طريقا، وأصحها نظرا، وأصفها موردا ومصدرا^(١)، ولذلك تعتبر الإباضية نموذجا يحتذى به في مشروع الحوار المذهبي وتوحيد كلمة الأمة، فخطابها يتسم بالسعي للحوار والمصالحة مع المسلمين جميعا»^(٢).

إن الاحتكاك اليومي بالمخالفين ومحاولة القيام بعملية التأثير؛ إما بالحوارات الشخصية، وإما عن طريق القدوة بما يشاهده المخالف من الإباضي وهو يقوم بأعمال تتعلق بالعبادات، أو حتى بالأعمال الروتينية اليومية^(٣)، ويقول سيد قطب الذي تعرف على الإباضية في مصر، واختلط بهم، وعرفهم حق المعرفة: «ومن حسن الحظ أن في فقه الإباضية وأصول ما ذهبوا إليه من المرونة ما يسمح بالتفاهم مع غيرهم على ما يصير به المسلم مسلما من أصول الدين وقواعده الأساسية فيما نعلم وفي ذلك الكفاية»^(٤).

(١) تقديم لسماحة الشيخ الخليلي على كتاب فرحات الجعيري، البعد الحضاري

للقاعدة الإباضية، مطبعة الأولية الحديثة، ١٩٨٩م، ص ١٢.

(٢) محمد المدني، الإباضية، ص ٦.

(٣) صالح الهطالي، دور المذهب في التأثير والتأثر، مذكرة بحوزتي، ص ٨.

(٤) انظر: مجلة الشهاب المصرية ١١ مارس ١٩٤٨هـ، ص ٦٣، نقلته من: د. محمد

ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، مكتبة الضامري،

ط ٢: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص ٥٣.

وقد قدم الدكتور إسماعيل بن صالح الأغبري ورقة عمل بعنوان «التسامح المذهبي عُمان والأزهر أنموذجا»، ذكر فيه العيش المشترك من خلال عدة نوافذ؛ منها، التقارب الإباضي الأشعري؛ إذ تمتاز المدرستان باعتراف كل منهما بالآخر وقد اطلع الإباضية على كثير من كتب الأشاعرة، وذكر أمثلة؛ ومنها: «كتاب الإشراف للنيسابوري الذي علق عليه أبو سعيد الكدمي في كتاب سماه «زيادات الإشراف»، فخرج كتابًا فقهيًا مقارنًا بين خمسة مذاهب^(١).

إن هذا التلاقي والتلاحق الفكري والانسجام لا يعني ذوبان الشخصية الإباضية، وإنما يدل على المعرفة التامة بنظرية التعارف، وإن الخلاف لا يفسد الود، ولا يعكر الماء الزلال، وكما يقول غاندي (ت: ١٩٤٨): «يجب أن أفتح نوافذ بيتي لكي تهب عليها رياح كل الثقافات بشرط ألا تقتلعني من جذوري».

وبالإضافة إلى ذلك فإن الإباضية لم يغالوا في الحكم على مخالفاتهم كالأزارقة، بل قالوا: يحل التزويج منهم (من المخالف)، ويتوارث الخارجي وغيره، ونزعتهم أميل إلى المسالمة، فقالوا: لا يحل قتال غير الخوارج وسببهم في السر والعلانية، ولا يجوز قتالهم، إلا بعد الدعوة وإقامة الحجة وإعلان القتال... وفي أكثر أحوالهم مسالمون للخليفة^(٢)، وليس بضروري

(١) من ندوة مقطع مرثي بعنوان «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» مكتبة جامعة السلطان قابوس.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢١هـ، ص ٢٤٨.

أن يكون الإمام من قریش، بل يكفي أن يكون صالحاً ورعاً، وأن يحكم طبقاً للقرآن والسنة^(١)، ومخالفوهم في المذهب ليسوا كفاراً، وإنما هم مسلمون، لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات مثل أصحاب المذهب.

أخيراً إن التسامح والمرونة سمتان إيجابيتان لكن بشرط عدم الذوبان، والتمسك بالخصوصية، والحفاظ على الهوية^(٢)، وينبغي أن تكون حاضرة في التسامح حرية الفكر والبعد عن التعصب، بمعنى أن أؤمن، وأعتقد، وأدع غيري يؤمن ويعتقد، ويفكر ويعبر عن رأيه بحرية^(٣).

هذا التسامح والانسجام مع غيرهم أعطاهم الحرية في الاحتكاك بغيرهم من المخالفين في أفكارهم في مصر، فرى أنهم قد أصبحت بينهم علاقات دينية تمثلت في المشاركة في مناسباتهم الدينية والحوارات الهادئة وتنقيح كتبهم، بالإضافة إلى العلاقات الثقافية، فلهم بصمة واضحة في مصر في مجلاتهم والجماعات، وتطورت إلى علاقات اجتماعية من زواج مع غير المذهب في مصر، وغيرها من العلاقات التي ما كانت تنشأ لولا وجود عنصر التسامح.

(١) أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢٥هـ، ج ٤ ص ١٨٠.

(٢) د. إسماعيل بن صالح الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، مكتب الإفتاء، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٦.

(٣) أ.د. محمد الزيني، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ١٧.

المطلب الثاني: طبيعة مصر^(١):

مصر أو مصر المحروسة كما يسميها أهلها، قامت مصر بدور فعال في التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب، فوادي النيل يربط بين الوطن العربي شرقا وغربا والتقاء الحضارات من خلاله، فكونت طابعا مميزا في معنى الحضارة العالمية، فالموقع الجغرافي أحد أهم مميزات أي دولة، فهو الشيء الذي قد يشكل عائقا كبيرا، أو عاملا مساعدا في تقدم الدولة.

ومصر بموقعها المتميز تعتبر بوابة جزيرة العرب، وقلب العالم بأسره، فهي تتحكم في الملاحة البحرية المتجهة من أوربا إلى آسيا وإفريقيا، والعكس كذلك، وذلك عن طريق أهم القنوات في العالم، وهي قناة السويس.

والناظر إلى خريطة الوطن العربي يدرك تمام الإدراك أن مصر حلقة وصل بين الوطن العربي الشرقي والغربي، فيحدها من الغرب بلاد المغرب^(٢)، ومن الشمال السودان^{(٣)(٤)}، هذا الموقع المتميز ساعد على الوجود الإباضي فيها، فموقعها بالتأكيد يمر عليه علماء الإباضية والتجار والحجاج الذين يرحلون من المشرق إلى المغرب فيتركون بصمتهم فيها، فمصر كانت هي الطريق

(١) في هذا المبحث أشكر الأستاذ الدكتور مشرح علي التمساح، أستاذ بكلية العلوم الشرعية على المعلومات القيمة التي استفدت منها.

(٢) وهي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب التي يوجد فيها إباضية إلى هذا الزمن.

(٣) وكانت فيها إباضية خاصة مدينة زويلة.

(٤) انظر: الملحق الخريطة، ص ١٥٠.

الوحيد الذي يربط بين المغرب والمشرق، فالحُجاج المغاربة - مثلاً - لا بد لهم من المرور بمصر؛ ليتزودوا لرحلة الحجاز بالغذاء والمحامل وغيرها، فكان لذلك أثر كبير في انتقال تلك المبادئ إلى مصر^(١).

وعند ذكر الموقع لا بد أن لا نغفل عن طبيعة الامتداد الجغرافية لحدود الدولة الرستمية، تلك الحدود التي كانت تمتد في الشمال الشرقي إلى طرابلس، وإلى سرت، وإلى برقة، ومنها بالطبع يمكن الوصول إلى الإسكندرية، وفي الجنوب الشرقي تمتد هذه الحدود على مدينة زويلة السودانية التي كان أهلها إباضية، ومنها بالطبع يمكن الوصول إلى واحات مصر الغربية^(٢)، فهذه الدولة بالتأكيد لها تأثيرها على مصر؛ وخصوصاً لأنها كانت دولة إباضية، فمصر ليست ببعيدة عن الدولة الرستمية فقرب الموقع ساعد على وجود الإباضية فيها.

ومن الأسباب التي ساعدت على ترحال الإباضية إلى مصر والاستقرار بها هي طبيعة المجتمع الذي تتميز به مصر، نتيجة لاختلاف الأعراق بين أهلها واختلاف الأفكار، هذا الاختلاف

(١) مبارك بن عبد الله الراشدي، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، مطابع الوفاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ٢١٠.

(٢) بتصرف: إبراهيم القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ط ١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس، ص ٥٣؛ محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ١٨٥.

ساعد على صياغة ثقافة اجتماعية متميزة من خلال تدافع الأفراد إلى الانسجام في مجتمع موحد، والذي يشكل هذه العلاقة الاجتماعية كما يقول علماء الاجتماع هي الدين والسياسة والحضارة والاقتصاد.

وهذا ما نجده في مصر عندما يترنمون بالجملة المشهورة عندهم أن حكمة التوراة عانقت محبة الإنجيل وسماحة وحكمة ومنطق القرآن في مجتمع واحد؛ لترجم على أرض الواقع تعايشا سلميا بين جميع الشرائع.

فقليلة هي الأماكن التي تتجاوز فيها الأديان السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلام في سلام، فالصراعات والحروب ومصالح السياسة كانت لها الكلمة الأعلى دائما في العلاقة بين هذه الأديان، ومن ضمن الأماكن القليلة التي يجتمع فيها أصحاب الديانات الثلاث في سلام تقف منطقة «مجمع الأديان» الغنية بتراتها في مدينة الفسطاط القديمة كحالة متفردة في التناغم بينها، فالتاريخ الناطق في المنطقة مع المباني المشحونة بالرموز الدينية وتداخلها الديني تبث في القلب طمأنينة، ومنطقة الفسطاط (مصر القديمة) عنوان لتأريخ طويل من التسامح والمعاشية، وفهم ممزوج بالاحترام لاختلاف الآخر^(١).

هذا الاختلاف بين الشرائع في مصر ساعد على الوجود

(١) موقع مصرس، مقال بعنوان «مجمع الأديان يفتح أبواب التسامح لأهل الأديان» حسين حافظ.

الإباضي فيها؛ لأن المجتمع متقبل لاختلاف الأفكار وتباينها، وبهذا ندرك لماذا هاجر الأزدي إلى الفسطاط تحديداً في عهد زياد بن أبيه بعدما ضيق عليهم^(١).

وقد فتحت الحياة الثقافية في مصر منذ أوائل القرن الماضي أبوابها لظهور المؤلفات الإباضية إلى عالم النشر، بل وأصبحت هناك مطابع خاصة مثل المطبعة البارونية، ومجلات خاصة مثل «مجلة المنهاج»، وازدانت الحياة الفقهية بظهور مؤلفات كثيرة إباضية؛ مثل: النيل للثميني، وشرح النيل لأطفيش، وشرح طلعة الشمس للسالمي، وغير ذلك من الكتب والأبحاث والمقالات^(٢)، هذه الحياة الثقافية المتسامحة هي التي شجعت عمرو النامي^(٣) لزيارة مصر، وكانت نظرتة إليها نظرة الظمآن المتعطش إلى الماء؛ نظراً للجو العلمي السائد فيها، والذي امتازت به عما سواها من الأقطار العربية آنذاك، فكان ذهابه لإكمال دراسته العليا والتحضير لرسالة الماجستير، وشجعه على الجلوس فيها وجود أبي إسحاق أطفيش نزيل مصر ودفينها، واطلع على كنوز التراث الإباضي التي

(١) ذكرت هذه المعلومة في مبحث وجود الأزدي.

(٢) أ.د. محمد كمال، مائة كتاب إباضي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عُمان، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج ٢ ص ١٣.

(٣) عمرو النامي (و ١٣٤٨هـ/١٩٣٩م) ولد في نالوت بجبل نفوسه بليبيا، كان من النجباء الأوائل الذين اختارتهم الجامعة ليزاولوا دراساتهم العليا خارج ليبيا، فتوجه أولاً إلى مصر، غير أن الأحداث اضطرتة للعودة إلى ليبيا ١٩٦٥م. انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٦٦٦.

كانت تدخلها وكالة الجاموس في حي طولون، ودار الكتب المصرية، وتيسرت له سبل الالتقاء بنزلاء مصر من الإباضية^(١).

المطلب الثالث: الاستبداد السياسي في مواجهة المذهب الإباضي:
لقد عانى الإباضية منذ عهدهم الأول أنواعاً من الاستبداد والظلم من مختلف الأعداء، فقد تعرض الإباضية في البصرة وعُمان لاضطهاد بني أمية وبني العباس، فكما هو معلوم أن بني أمية قد سلكوا مذهب التعذيب والنفي، وفرق تسد على كل من يخالف هواهم - سواء من الرجال أو النساء -، فقد أخذوا في مطاردتهم ونفيهم وسجنهم تارة أخرى وحرقت منازلهم، ومن أمثال هؤلاء عبد الله بن زياد والحجاج وغيرهم من ولالة الجور، سلطوا أيديهم وطاقاتهم في محاربة الإباضية فكرياً وحربياً.

ولمعرفة فكرهم وبطشهم وأفعالهم الشنيعة واستبدادهم في الأرض يقول أبو حمزة الشاري: «قوما طغاة جهلاء لا يقومون لله بعهد، ولا يفرقون بين الضلالة والهدى،.... بطشهم بطش الجبابرة، يملكون بالهوى، ويقتلون بالغضب، ويأخذون بالظن، ويعطلون الحدود بالشفاعات، ويؤمنون بالخونة، ويقصون ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة في غير وقتها على غير فرضها، ويضعونها في غير مواضعها...»^(٢).

(١) انظر: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، مكتبة الأنفال، ط ١: ١٤٢٩هـ، ص ٣٩.

(٢) عن الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٣ ص ٣٥٥؛ نقلاً عن محمد رجب: الإباضية في مصر والمغرب، ص ٧٥.

وقد صور الأستاذ عبد الكريم محمد هذا الواقع المرير، الذي انقلبت به حياة الأمة إلى عهد مظلم في تقديمه لـ (تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك) فقال: «تربع معاوية على أريكة الملك الذي أسموه الخلافة، وتخلص من مناوئيه بالسيف تارة، وبالرشوة أخرى، وشفى غيظ قومه باضطهاده آل البيت، وتسميم أعيانهم، ولعنهم على المنابر... فكان بذلك عهد بني أمية بابا للفتنة الصماء التي هاجت وماجت بالأمة، وما زالت تعيث فيها إلى عصرنا الحاضر، وفيما يستقبل إن لم يتداركنا الله بالرشد، ويهديننا للعودة إلى نبع القرآن الكريم»^(١).

ويقول الخليلي بعدما ذكر موت الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز «... ليعقبها ليل بهيم موحش، تفري وحوشه الضاربة وذئابه المسعورة أديم الأمة وأوصالها، لتشبع نهمها وتطفي غيظها من الحق وأهلها، فعاد الأمر أسوأ مما كان، إذا اعتلى منصة الحكم بنو مروان مرة أخرى، بكبرهم وبطرهم وبطشهم الشديد ونقضهم لعرى الإسلام ونسفهم لأحكامه وانتهاكهم لحرمة...»^(٢).

(١) إبراهيم بن علي الطرسوني، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك؛ نقلا عن أحمد بن حمد الخليلي: الاستبداد مظاهر ومواجهته، ط ١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٥٥.

(٢) أحمد بن حمد الخليلي، الاستبداد مظاهر ومواجهته، ط ١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٧٥.

قد عهد عبد الملك إلى الحجاج بن يوسف - الوالي المشهور بقسوته - بإخماد الثورات التي تقع، فأزاح أبناء المهلب من السلطة في العراق وعلى سبيل الانتقام، أخذ الحجاج بتعذيب أزد العراق في البصرة وسجن علماءهم^(١)، وبعض الأزد هاجر إلى مصر في عهد زياد بن أبيه بعدما ضيق عليهم، فأقبلوا إلى مصر، ونزلوا في الفسطاط^(٢).

نتيجة لهذا الاضطهاد والظلم قرر بعضهم البحث عن البلاد الآمنة خوفاً على نفسه ودينه، فكيف للإنسان أن يرضى أن يعيش تحت سطوة حكمهم، وهو يريد أن يعبد الله تعالى على بصيرة وعلم، ولديه أفكار يسعى لنشرها وبثها بين الناس، ولذلك كان الملجأ عن هذا كله هو شد الرحال إلى مصر المحروسة، وغيرها من المناطق الآمنة.

حيث كان الإباضية يقومون بالدعوة لمذهبهم عن طريق التجارة متسترين بها للتمويه على خصومهم السياسيين، والإفلات من بطش الأمويين والعباسيين، حتى أن معظم المناطق التي لجأوا إليها أصبحت فيما بعد نواة لمراكز تجارية قوية شكلت خانة مهمة

(١) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص ٣١٧.

(٢) انظر: الملحق، ص ١٤٦. الفسطاط: هي إحدى عواصم الدولة الأموية في مصر بالإضافة إلى المدينة المنورة والبصرة والكوفة. انظر: الأطلس المدرسي، وزارة التربية والتعليم - سلطنة عُمان، دار النهضة، ٢٠٠٥م، ص ١٥٤.

في خارطة الاقتصاد الإسلامي^(١)، وفعلا هذا ما نجده، فهجرة الإباضية إلى شرق إفريقيا كانت على أساس التجارة، وأحيانا فرارا من الظلمة، فنشروا المذهب في المناطق التي هاجروا إليها، وهذا الذي وقع عند هجرة الإباضية إلى مصر.

المطلب الرابع: وجود الأزد في مصر:

ساعد وجود الأزد في مصر على انتشار المذهب الإباضي، وأضاف حماية عليهم، خصوصا إذا ما علمنا أن نشأة المذهب كانت يغلب عليها شخصيات أزدية، فالأقارب والأهل يعطون الداعية وصاحب الفكرة حماية ودرعا ضد الهجمات المعارضة لفكرته، فالنبي شعيب عليه السلام لأنه بين أهله وأقاربه لم يستطع قومه قتله ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]، وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يستطع المشركون المساس به؛ لأن جده عبد المطلب من عليّة القوم وكبرائهم، وأيضا لم يتلفظوا بشيء بحضرة عمه أبي طالب، وهذا كله بعد عناية الله لهم.

وهذا ما نجده عند حديثنا عن المذهب الإباضي عند الحديث عن عبد الله بن إباح كان هو في الواجهة، ويتكلم باسم المذهب بدون خوف، ولم يكن جابر بن زيد في الواجهة رغم علمه وسياسته؛ لأن عبد الله بن إباح له رهط يصعب عليهم مسه بسوء،

(١) بتصرف إبراهيم القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ط ١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس، ص ٤٤.

ولو كان قومه وعشيرته ليسوا على نفس منهجه وفكره، ولكن الدم يبقى يجري في قلوبهم على أنه منهم.

لقد كان الأزد على علاقة وطيدة وعميقة ومنسجمة مع المذهب الإباضي منذ نشأته، فأبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العُماني الذي تسلم الشعلة، وأسهم انتماءه إلى قبائل الأزد في نشر الحركة في عُمان؛ حيث لقي الدعم الفعال من أسرة المهلب^(١)، وهو الذي أقنع عددا كبيرا من الأزد بالانضمام إلى جماعة المسلمين (الإباضية)، فتبعه قسم كبير منهم، وعلى رأسهم أفراد آل المهلب - رجالا ونساء -، ومنهم عاتكة بنت المهلب؛ أي: أخت يزيد الذي كان والي خراسان وكانت من أشد الناس حماسة للمذهب، ولم تبخل بمالها لمساعدة المحتاجين من أهل الدعوة^(٢).

ولقد أسهمت العلاقة بين الأزد والإباضية في نشر المذهب في مصر، وقبل أن أعرج إلى هذه الإسهامات يجدر بنا السؤال من أين ومتى أتى الأزد إلى مصر؟

يعود الوجود الأزدي في مصر إلى عصر الفتوحات الإسلامية، فبعض الأزد أتى مع عمرو بن العاص عندما فتح مصر^(٣)، وكذلك

(١) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص ٤١.

(٢) انظر: يحيى محمد بكوش، فقه جابر بن زيد، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ص ٣٢.

(٣) انظر: حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، ط ٣: ١٩٨٦م، ص ١٠١.

العمانيون من الأزد والمهرة أقبلوا إلى مصر مع عمرو بن العاص لفتحها انطلاقاً من بلاد الشام^{(١)(٢)}، ولقد تتبعّت مسيرة الأزد من كتاب (السيوطي في تاريخ مصر والقاهرة)، فوجدته يذكر جملة من الأزد الذين كانت لهم بصمة في فتح مصر؛ فمنهم مالك بن أبي سلسلة الأزدي.

قال في التجريد: أحد الأبطال، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، فكان أول الناس صعوداً للحصن^(٣)، فقد صعد الحصن بعد طول الحصار الذي ضرب به عمرو بن العاص حول حصن بابلون الذي كان يتحصن فيه المقوقس ومن معه^(٤)، وعلقمة بن جنادة الأزدي الحجري، قال الذهبي: صحابي شهد فتح مصر، وولي البحر لمعاوية^(٥)، وعياض بن سعيد الأزدي الحجري^(٦)، ومن الصحابة الذين نزلوا مصر كثير بن أبي كثير الأزدي^(٧)،

(١) لمعرفة كيف وصل هؤلاء العمانيون من المهرة والأزد إلى بلاد الشام راجع محمد علي: ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١١٧، فقد ذكر تحليلاً رائعاً وتأصيلاً دقيقاً.

(٢) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١١٧.

(٣) السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١٧٧.

(٤) السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، ص ٨٦. وانظر: بكر محمد إبراهيم، كيف دخل الإسلام مصر، مركز الراية - القاهرة، ط ١: ٢٠٠٧م، ص ١١.

(٥) السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١٧٠.

(٦) السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١٧٣.

(٧) المرجع السابق، ص ١٧٥.

وجنادة بن مالك الأزدي^(١)، فهؤلاء الجند الذين فتحوا مصر ربما بعضهم استقر فيها، فصاروا من أهلها.

وبعض الأزد هاجر إلى مصر في عهد زياد بن أبيه بعدما ضيق عليهم، فأقبلوا إلى مصر ونزلوا في الفسطاط^(٢)، وهي في القاهرة^(٣).

وكذلك رحل بعض العُمانيين إلى مصر، ونشروا بين بعض أهلها المذهب الإباضي واعتنقه عدد لا بأس به من المصريين، ووجد دعاة الإباضية في سكان مصر من الأزد قوة وسندا لنشاطهم المذهبي ولنشاطهم التجاري أيضاً، مما دفع بالعلاقات المذهبية والتجارية بين البلدين إلى التطور والنماء إلى حد كبير، وهياً في الوقت نفسه لمزيد من الهجرات العُمانية إلى مصر^(٤).

وقد رجع الدكتور رجب محمد عوامل هجرة العُمانيين إلى مصر إلى عاملين؛ وهما الأول: وجود عدد من الولاة والقضاة ورجال الشرطة وعمال الخراج تولوا مصر^(٥)، وكانوا من الأزد،

(١) المرجع السابق، ص ١٤٤.

(٢) انظر: الملحق، ص ١٤٦. الفسطاط: هي إحدى عواصم الدولة الأموية في مصر بالإضافة إلى المدينة المنورة والبصرة والكوفة. انظر: الأطلس المدرسي، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عُمان - دار النهضة، ٢٠٠٥م، ص ١٥٤.

(٣) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج ١ ص ٣١٢ - ٣١٣.

(٤) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١، ص ١٦٥.

(٥) لمعرفة المزيد عن الأزد والمهرة الذين حكموا مصر حيث إنهم أحمدوا الفتن =

فمهدوا الطريق لأقربائهم كي يهاجروا إلى مصر، أما العامل الثاني: فقد كان الأزد والمهرة مستقرين في الكثير من الأحياء السكنية المصرية؛ مثل: الفسطاط والجيزة والإسكندرية وغيرها^(١)، وما زالت أثر هجرتهم إلى مصر إلى الآن شاهدة على ذلك^(٢).

وعلى هذا يتبين لنا أن تكاثف الأزد في مصر تكاثفٌ ساعد على انتشار المذهب الإباضي فيها، أو على الأقل أضفى الحماية على رجال هذا المذهب من علماء ودعاة^(٣)، «ومما لا شك فيه أن دعاة المذهب الإباضي في مصر وجدوا العون والمساعدة بشكل غير علني من هؤلاء الأزد ذوي الأصل العُماني أو غير العُماني؛ لأن مصر كانت ولاية تتبع خلافة سنية، ومع ذلك فقد وجد هؤلاء الدعاة الأمن والحماية، واطمأنوا على أنفسهم»^(٤)، فنشروا أفكارهم بكل راحة واطمئنان.

ونضيف إلى ما سبق أن في عهد يزيد بن معاوية جعل واليًا على مصر من الأزد، فكان واليها منذ ٦٢هـ/٦٨٢م هو سعيد بن

= والشورات، وعمرُوا البلاد؛ راجع محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١، ص ١٧٦ - ٢٠٩.

(١) انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٧.

(٢) ومن القبائل التي هاجرت مصر الحجري وآل الرواس، واستقروا هناك، ولا تزال بعض العائلات في مصر والزقاق تسمى باسمهم. انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١٣٣ - ١٤٠.

(٣) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٤٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٠.

يزيد بن علقمة بن عوف الأزدي^(١)، وأيضاً تولى عياض بن عبيد الله الأزدي السلامي منصب القضاء في مصر عام ٩٣هـ/٧١١م^(٢) وهذه الفترة هي فترة بداية انتشار المذهب الإباضي، وبالتأكيد أنهم وجدوا دعماً ومساندة، وأضافوا عليهم حماية كريمة، وأيضاً هي فترة سلام مع بني أمية؛ لأن في هذه الفترة هي فترة حكم سليمان بن عبد الملك، ومن المعروف أنه رفع من شأن آل المهلب وولاهم مناصب رفيعة، وكذلك فترة حكم عمر بن عبد العزيز الذي حاور الإباضية فكان حكيماً في سياسته.

أما مع الدولة العباسية ذهب أزد مصر بقيادة مندوبهم محمد بن مشهور الأزدي ضمن الوفد الذي خرج من مصر إلى بلاد العراق؛ لإعطاء بيعة أهل مصر لأبي العباس السفاح^(٣)، ونتيجة لهذه المبايعة ارتفع شأنهم عند بني العباس، فقد عين عبد الملك بن يزيد الهنائي والياً على مصر في شعبان ١٣٣هـ^(٤)، وهكذا يتوالى تولية الأزد؛ فأبو جعفر المنصور ولى يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب حكم مصر في منتصف ذي القعدة من عام ١٤٤هـ، واتخذ هذا الوالي الأزدي العُماني معظم موظفيه

(١) انظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاء، مطبعة الآباء

اليسوعيين - بيروت، ١٩٠٨م، ص ٤٠، ٤١، ٣١١.

(٢) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٤٤.

(٣) انظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاء، مطبعة الآباء اليسوعيين

- بيروت، ١٩٠٨م، ص ٩٨.

(٤) انظر: الكندي، ولاة مصر، ص ٤٨٥، ٥٤٦، ٥٤٧.

وقواده من الأزد^(١)، والوالي الذي تولى حكم مصر في ربيع الآخر من عام ٣٢٨هـ / أكتوبر ٨٥٢م كان معتقاً لهذا المذهب (المذهب الإباضي)، أو على الأقل كان متأثراً به وميلاً إليه لذلك اعتبره المؤرخون إباضياً مما جعل ابن حزم الظاهري يقول: إنه لم ير في مصر لبني العباس مثله، وإنه كان من أعدل الناس، وإنه كان يتهم بمذهب الخوارج لشدة عدله وتحريره للحق^(٢)، عندما نقرأ هذه المعلومات سنبنني عليها أشياء؛ منها: أن المذهب الإباضي كان له شأن في مصر، فقد أثروا في الحياة السياسية والفكرية والثقافية والاقتصادية، وبما أنهم تربعوا ولاية مصر فلا بد أنه كان يهتم بأتباعه ولو كان بطريقة غير مباشرة، وكما قال يعرف عن الإباضية أنهم من أهل العدل ويتحرون الحق كما ذكر ابن حزم.

إذن هذه الفترة لا بد أنها أخرجت علماء إباضية من مصر عرف قدرهم بين أهلها، وفعلاً هذا ما وجدته في كتاب تأريخ المصريين لابن يونس وسأذكره في دور الإباضية في مصر في الجانب الديني.

وقد ظل استخدام الأزد في الإدارة والسياسة إلى عصر متأخر؛ حيث إننا نرى صلاح الدين الأيوبي سفيراً له إلى المنصور

(١) انظر: المرجع السابق، ص ١١١، ١١٧، ٣٦٣.

(٢) انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ٢٦٩، نقلاً عن جمهرة أنساب العرب لابن حزم، دار الكتب العلمية - بيروت، ص ٢٠٤.

يوسف بن يعقوب في بلاد المغرب يبشره بفتح بيت المقدس في منتصف رجب من عام ٥٨٣هـ^(١).

لم يقتصر الوجود والنفوذ الأزدي في مصر على الجانب السياسي، بل كان أيضا لهم بصمة كبيرة في فروع العلم والمعرفة والثقافة، منهم في مجال الحديث والفقه والأدب واللغة والتاريخ والرحلات الجغرافية^(٢)، ومن يقرأ «تأريخ المصريين» لابن يونس، و«الولاية وكتاب القضاة» لمحمد بن يوسف الكندي يجد الكثير من العلماء والأدباء والولاة من الأزد، بعضهم من الصحابة ومن التابعين، لهم مكانتهم المرموقة بين المصريين.

المطلب الخامس: الحج:

حرص الإباضية منذ بداية عهدهم على استغلال موسم الحج استغلالا عظيما، وقد استمروا في هذه السنة في تكتلاتهم في مواسم الحج من أجل التلاحم والأخذ من علمائهم وفقهائهم من مختلف الأمصار، وهذه هي سنتهم منذ عهد جابر بن زيد رضي الله عنه.

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٤٨، نقلا عن الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٠٦.

(٢) انظر: محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٤٩.
وذكر المؤلف في كتابه من هؤلاء العلماء عددا ليس بالقليل، ولم أذكرها هنا خوف الإطالة.

فالإمام جابر بن زيد يذكر عنه أنه لم يفوت الحج وكان يحج في كل عام، حتى يشتد الأمر في وجهه ويظلم عليه ويصبح السجن مانعا له عن الذهاب إلى الحج.

فهذا الأمر يدعو للدهشة والتساؤل فلماذا التركيز على الحج الذي كلفهم في سبيل الوصول إليه التعب والتعذيب و...؟؟ ألم تكن هناك فضائل ونوافل يمكن أن يحصل عليها المسلم من الأجر الوفير في غير الحج؟ الجواب إنها الدعوة إلى الله اقتداء بنبيه رسول الله ﷺ الذي كان يستغل فترة الحج لدعوة الناس إلى دين الله أفواجا، ولقد أخذ معاشر الإباضية بهذا النهج حذو النعل بالنعل، فقد كانوا يدعون الناس إلى العقيدة الصحيحة والأفكار السليمة^(١).

«ولقد بذل أسلاف الإباضية الشيء الكثير في سبيل التواصل فيما بينهم شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، متخذين من موسم الحج فرصة للقاء والاجتماع لتبادل وجهات النظر فيما يهمهم ويعنيهم، وكم قضايا نوقشت، وإشكالات حلت هناك»^(٢)؛ من أجل هذا حرص إباضية مصر على إحياء سنة الإباضية في تكتلاتهم في موسم الحج من أجل التلاحم والأخذ من ينابيع العلم، إضافة إلى

(١) حمود بن عامر الصوافي، الإباضية في خراسان سياسيا وعلميا، ص ٣٥، (بحث تخرج ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

(٢) أحمد بن سعود السيابي، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م، ص ٦.

نيل الأجر والثواب، فقد كان أبو عبيدة يحرص على أن يلتقي بإباضية مصر في الحج^(١).

ففي الحج يلتقي حُجاج الإباضية من عُمان والبصرة بالحجاج المصريين والمغاربة، وهذا الالتقاء لا شك له تأثيره الكبير في دعم المذهب، ونشره بين غيرهم من الناس^(٢).

وكما هو معروف من إباضية المغرب كثرة الذهاب إلى الحج وبتكراره فقد ازداد اللقاء بين علماء المذهب من مختلف الأقطار والأمصار في مواسم الحج من جهة، وفي نشر المذهب في البلدان التي يمر بها هؤلاء الحُجاج - سواء في رحلة الذهاب أم الإياب - من جهة ثانية^(٣).

والناظر إلى خريطة الوطن العربي يدرك تمام الإدراك أن مصر حلقة الوصل بين الوطن العربي من جهة الشرق والغرب^(٤)، وبحكم موقعها بالتأكيد سيمر عليها حجاج المغرب؛ لأن «مصر كانت هي الطريق الوحيد الذي يربط بين المغرب والشرق، فالحجاج المغاربة مثلاً لا بد لهم من المرور بمصر؛ ليتزودوا

(١) انظر: مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص ٢٠٠.

(٢) انظر: محمد زينهم وأحمد عبد التواب، دراسة في تاريخ الإباضية، ص ٣٥؛

د. محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة،

١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ١٠٨.

(٣) محمد صالح، منهج الدعوة عند الإباضية، ص ١٠٨.

(٤) انظر: ملحق الخريطة، ص ١٥٠.

لرحلة الحجاز بالغذاء والمحامل وغيرها منها، فكان لذلك أثر كبير في انتقال تلك المبادئ»^(١).

وفي القادم من البحث سيتضح هذا أكثر عندما تقرأ أن عددا من الإباضية يمرون مصر، ويمكنون فيها فترة ليست بالقليلة؛ فإن كانوا من الطلبة يتعلمون من مشايخها، وإن كانوا من العلماء يلتقون بأقرانهم، وكذلك يعلمون في الوكالة، ويلتقون بغيرهم من العلماء من غير المذهب، هذا المكوث لا بد أن له أثرا في تقوية المذهب في مصر ونشره وإعطاء جرعات إيمانية لأهله.

المطلب السادس: التجارة:

لقد قام تجار الإباضية بدور بارز في نشر المذهب الإباضي في مختلف المناطق التي تاجروا فيها، فهؤلاء التجار لم يكن هدفهم من تجارتهم نشر المذهب، بل كانوا تجارا عاديين يبحثون عن رزقهم، ولكن ما يميزهم عن غيرهم اختلافهم في فكرهم ومعاملاتهم وطريقة تعاملهم مع الناس.

وكما هو معلوم أن التاجر الإباضي حينما يتجول لا يتجول ببضاعته فقط، وإنما بفكره وأخلاقه ومنطقه وسلوكه، وفي تنقله سيحط رحاله في عدة أماكن، وربما يتعامل بمعاملة مالية مختلفة عنهم، فيُسأل عنها، ومن أين له بها؟ فيحدثهم عنها ويبين لهم معتقده وفكره وغيرها من الأمور وخصوصا أن العالم الإباضي

(١) مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص ٢١٠.

المصري ابن عباد له آراء وفتاوى مشهورة في المعاملات المالية، وعلى هذا فقد انتشر المذهب الإباضي في مصر عن طريق التجار الإباضية القادمين سواء من المشرق أو من المغرب حتى وصل المذهب إلى الواحات التي تقع في صحراء مصر الغربية^(١).

وكما أشرنا سابقا في مطلب طبيعة مصر فبحكم موقعها بالتأكد سيمر عليها التجار الإباضية القادمون من ليبيا والجزائر وتونس والمغرب؛ لأن مصر كانت هي الطريق الوحيد الذي يربط بين المغرب والمشرق، فالتجار المغاربة مثلا لا بد لهم من المرور بمصر ليتزودوا بالغذاء والمحامل وغيرها، فبنوا لهم في مصر؛ أماكن يستريحون فيها مثل الوكالات، فكان لذلك أثر كبير في الوجود الإباضي في مصر.

ومن المعلوم أن الجسر الممتد بين مصر وعمان ليس وليدا من حقبة قصيرة، بل هو جسر متين منذ قديم الزمان كما تذكر الآثار التاريخية، فبعض العُثمانيين رحلوا إلى مصر، ونشروا بين بعض أهلها المذهب الإباضي، واعتنقه عدد لا بأس به من المصريين، ووجد دعاة الإباضية في سكان مصر من الأزد قوة وسندا لنشاطهم المذهبي، ولنشاطهم التجاري أيضا، مما دفع بالعلاقات المذهبية والتجارية بين البلدين إلى التطور والنماء

(١) صالح باجي، الإباضية بالجريد، ص ٣١، نقلا عن محمد رجب، الإباضية في

إلى حد كبير، وهياً في الوقت نفسه لمزيد من الهجرات العُمانية إلى مصر^(١)، وقد ذكرت سبب هجرة العُمانيين إلى مصر في مبحث الوجود الأزدي، فهولاء التجار الذين هاجروا من عُمان إلى مصر لا بد أنهم أثروا في نشر المذهب وبعضهم استقر فيها.

والباحث في التاريخ في نهاية القرن الثاني يدرك أن هناك دولة قوية تقع بجانب مصر وهي الدولة الرستمية التي لها أبعادها ومساحتها وعلاقتها مع الدولة التي تجاورها، فقد بلغت من الحضارة ما بلغته من انسجام وتآلف بين كل الأطياف التي تسكن فيها، فهذه الدولة بالتأكيد لها تأثيرها على إباضية مصر، وخصوصاً أنها كانت دولة إباضية، فمصر ليست ببعيدة عنها فبالتأكيد حصلت علاقات تجارية وثقافية وفكرية، وخاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم ١٧١ - ٢٠٨) - ثاني الأئمة الرستميين - عاصر الربيع بن حبيب، عالم متضلع، وكان تاجراً بارعاً، بلغت الدولة في عهده شأواً بعيداً في الحضارة، أقام علاقات تجارية وطيدة مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومع إباضية المشرق، وله تأثير كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، فقد اتسعت دولته في حدود مصر شرقاً...^(٢)، وكانت مصر على اتصال وثيق ببلاد المغرب عبر

(١) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١٦٥.

(٢) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣.

الصحراء الليبية التي تشكل معبرا لتجار عُمان الراجعين من فزان والسودان وإباضية المغرب^(١).

والناظر لتأريخ المغرب وجزيرة جربة بالتحديد يدرك أن عددا من التجار الإباضية وفدوا إلى مصر للتجارة؛ وخاصة في القرن العاشر، فقد بدأ وصول الجربيين إلى القاهرة بصفة فردية واستقرارهم بها في أول القرن العاشر الهجري، وقبل تأسيس الوكالة، فنشطت الرحلة إلى القاهرة للتجارة، فكثر عدد الجربيين وطاب لبعضهم المقام بمصر، فجلبوا أسرهم، واستقروا في المنطقة، فكوّنوا أسرا ومجتمعات، ومن أوائل التجار الإباضية المتجهين من جزيرة جربة إلى القاهرة واستقروا مع عائلاتهم في محيط طولون؛ الحاج عبد العزيز بن منصور بن عبد العزيز البحار وهو الذي أسس وكالة، فكانت تعرف في عهده بوكالة البحار، ثم اشتهرت بوكالة الجاموس، الذي مارس التجارة وحقق نجاحا باهرا، شجعه على الاستقرار بأسرته، وفي القرن الحادي عشر الهجري نما عدد الجربيين في مصر بعدما تسامع الناس في الجزيرة بأخبار النشاط التجاري في القاهرة^(٢)، وبعضهم بلغ مبلغا عظيما في التجارة في مصر فاشتهر أمره وذاع صيته بين المصريين بكثرة ثروته وتجارته كما سيأتي بيانه في دور الإباضية الاقتصادي في مصر.

(١) صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٦، نقلا عن القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ص ٥٣، ط ١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس.

(٢) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص ٥٠ - ٥٢.

المطلب السابع: حملة العلم (وجود العلماء من الإباضية):
 إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله
 عليه؛ لأن الدعوة ليست طريقاً مفروشا بالياسمين والورد
 لسالكها، وإنما هي طريق شاق يحتاج إلى صبر ومصابرة، وتفقه
 وسياسة في الدين؛ ليكون الداعية على بصيرة من أمره.
 والدعوة الإسلامية لها رجالها الذين لا يألون جهداً في سبيل
 نشرها في مختلف العالم، وفي هذا المطلب نحن على موعد مع
 رجالات أسهموا في الدعوة إلى دين الله بشكل عام، والمذهب
 الإباضي بشكل خاص.

لقد كانت البصرة هي منبع الإباضية منذ جابر بن زيد، فهي
 كما يقال موفد الطلبة ومسرح الإصلاح بينهم، والمعين المادي
 والمعنوي لأهل الدعوة في مختلف الأمصار، فقد تخرج من
 مدرسة البصرة فقهاء بارعون، وقادة مصلحون، لهم آراء مستقلة،
 وروايات موثوقة، فقد وجد في عهد أبي عبيدة علماء فطاحل شهد
 لهم بالعلم والمعرفة، ولا يمكن أن يتكون دعاة في لمحة بصر من
 دون وجود قواعد وأساسيات تم بناؤها، فقد كان هناك عمل
 مخلص ودؤوب من أجل إخراج قادة ودعاة.

بلغ التنظيم الإباضي أوج نشاطه حين تبلورت تنظيماته على
 يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الداهية السياسي، الذي يعتبر
 واحداً من الشخصيات اللامعة في مجال التنظيمات السرية^(١)،

(١) مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة،
 ط: ٢٠٠٣م، ص ٩٦.

ووصفه السالمي في عبارة موجزة بليغة بقوله: «ولقد تفجرت ينابيع الحكمة من قلب أبي عبيدة، وطلعت من لسانه شمس العلم»^(١).

فمن معهده السردابي العالمي كان يتابع ما آلت إليه أحوال المسلمين، فيرى أنه لا بد من تصحيح صورة الإسلام التي شوحتها هذه الشعوب؛ حتى لا يرجعوا إلى كفرهم^(٢).

كان أبو عبيدة يرسل «بعض الدعاة لاستطلاع أحوال الناس في المغرب، ومعرفة اتجاهاتهم، ودراسة عاداتهم وتقاليدهم، وطرق معيشتهم، ومقدار تطورهم الفكري والحضاري، ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة»^(٣)، وذلك بواسطة الدعاة المدربين في المعهد السردابي، فيرسلهم لتلك الولايات لنشر المذهب الإباضي فيها، وهؤلاء هم الذين عرفوا في تاريخ الحركة الإباضية باسم حملة العلم؛ أي: الذين حملوا العلم من منابعه الأصلية في البصرة ونقلوه إلى الأمصار^(٤)، وكان الدعاة الذين يرسلون إلى الأمصار

(١) عبد الله بن حميد السالمي، شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي، مكتبة الاستقامة - سلطنة عُمان، ١٩٩٣م، ج ١ ص ٦.

(٢) السيابي، الدعوة عند الإباضية، ص ١٤.

(٣) د. عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الدينية، بدون تاريخ، ص ٧، نقلا عن الفكر السياسي، ص ٥٢.

(٤) د. عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب - الأردن، ١٩٧٨م، ط ١، ص ١٠٣.

على نهجين: فإما أن يكونوا من نفس البلد التي نشأ فيها، وإما أن يكونوا من غير أهل البلد.

إن الحماسة التي تجري في عروق حملة العلم تحير العاقل والسامع، فها هو أحدهم يتمنى أن يظهر ما في جعبته ولو ليوم واحد، ولا يبالي بعدها إن قطعت عنقه، عبارة سكبتها حلاوة التلذذ بالدعوة، ويظهر منها جليا أن أي شيء في سبيل الوصول إلى الحق هين ولو كان يكلف فراق الحياة.

فحملة العلم لهم شأن كبير في نشر المذهب الإباضي في مصر وغيرها من البلدان، وربما كان أول من قدم إلى مصر ثم بلاد المغرب داعيا للمذهب الإباضي؛ هو سلمة بن سعد الحضرمي في بداية القرن الثاني للهجرة، وإن كانت المصادر تذكر توجهه إلى بلاد المغرب، ولم تذكر أنه رحل إلى مصر؛ وذلك لعدة أسباب منها:

(١) العبارة المنتشرة في أكثر الكتب الإباضية: «وذهبت هذه الدعوة المعتدلة التي لا تحيد عن منهج الإسلام في البلاد دون جيش أو سيف أو مال، فانتشرت في العراق والجزيرة العربية، ثم امتدت إلى مصر، ومن مصر دخلت بهدوء إلى ليبيا وما بعد ليبيا من المغرب الإسلامي الكبير»^(١)، وعلى هذا فقد وصل المذهب

(١) انظر: الإباضية في موكب التاريخ، ص ١٤٤؛ الفكر السياسي عند الإباضية، ص ٥١؛ محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٣٩.

إلى مصر أولاً، حيث انتشر بين بعض أهلها، ثم تسرب منها إلى بلاد المغرب، حيث انتشر هناك انتشاراً واسعاً.

(٢) يطلق على مصر في الكثير من الأحيان بلاد المغرب، يقول الدكتور محمد: «حتى أنه يطلق على مصر في بعض الأحيان أنها إحدى دول المغرب»^(١).

(٣) الإباضية يطلقون على إباضية مصر: المغاربة، يقول الشيباني: «أصحابنا في مصر أحياناً يطلق عليهم المغاربة، وأحياناً المشاركة»^(٢).

(٤) وعندما يطلق لفظ: «إباضية المغرب الإسلامي» يقصدون «البلاد الواقعة بين الحدود المصرية والمحيط الأطلسي»^(٣).

(٥) من أخبر حملة العلم المصريين بخبر أبي عبيدة غير سلمة بن سعد؟ وقد أقبل من دعاهم سعد إلى المذهب الإباضي بكل شغف؛ لأنهم وجدوا فيه المساواة والعدل المستمدين من قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، حتى وثقوا في المذهب وأتباعه، فأرسلوا أولادهم لدراسته.

(٦) الموقع الجغرافي لمصر، فالقاصد إلى بلاد المغرب لا بد له من المرور بمصر أولاً.

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٢٩.

(٢) انظر: تعليق الشيباني على نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، اللمة المرضية، مكتبة مسقط، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ٥٩.

(٣) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري - سلطنة عُمان، ص ١٠٩.

ومن الصعب على شخص أن يقطع بمفرده مسافات شاسعة من غير أصحاب أو دليل يهديه السبيل، وعلى هذا فسلمة بن سعد الحضرمي عندما ذهب إلى مصر وبلاد المغرب لم يكن بمفرده منطلقاً من البصرة، وخاصة إذا ما علمنا أن بين البصرة وبين مقصده سهولاً وجبالاً وأنهاراً.

ومن حملة العلم إلى مصر: ابن عباد المصري^(١)، «وابن عباد مصري الأصل، لكنه عاد بعد إكماله دراسته في البصرة إلى مصر، واستقر فيها»^(٢)، ومن المعروف أن ابن عباد له آراء في الكثير من الأحيان مغايرة لأتباعه، وربما يرجع هذا إلى: «منظومته الثقافية المرتبطة، وهي محصلة التأثير بالدين والعصر، والمحيط الثقافي، وبالجملة: البيئة التي يعيش فيها، هذه المنظومة هي التي تحدد طبيعة تفكيره، وتوجه سلوكه وحركته داخل المجتمع، وبسبب الاختلاف في التكوين الثقافي بين الأفراد؛ فمن البديهي أن يكون هناك تباين في وجهات النظر، سواء في البواعث أو الغايات أو المنهج المستخدم»^(٣).

(١) انظر: الشماخي، السير، ج ١ ص ١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص ١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص ١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص ١٤.

(٢) عمرو خليفة النامي دراسات عن الإباضية، ص ١٣٤.

(٣) أ.د. محمد الزيني، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ٢٠.

ومنهم أيضا شعيب بن المعروف (حي في: ١٧١هـ/٧٨٧م) أحد علماء الإباضية بمصر، تتلمذ على يد أبي عبيدة، وفي عهد الربيع كان أحد المنشقين^(١) عنه، حيث ذهب إلى مصر لنشر أفكاره^(٢).

وأيضا عيسى بن علقمة الذي له كتاب لم يصل إلينا بعنوان «التوحيد الكبير»^(٣).

ومن حملة العلم كذلك إلى مصر أبو إسحاق إبراهيم وابن اليسع وأبو المؤرج عمر بن محمد^(٤)، وأبو سعيد عبد الله بن عبد العزيز البصري من تلاميذ أبي عبيدة السبعة الذين روى عنهم أبو غانم في مدونته، ويقال إنه هاجر إلى مصر في آخر عمره^(٥).

(١) لمعرفة سبب الانشقاق والخلاف الذي دار في عهد أبي عبيدة وبينهم؛ راجع: أحمد الشماخي، كتاب السير، ج ١ ص ٩٧.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٤٥٨؛ الشماخي، السير، ج ١ ص ١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص ١٤٧، ١٨٤؛ محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص ١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص ١٤.

(٣) انظر: الشماخي، السير، ج ١ ص ١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص ١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص ١٣٣؛ مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص ٢٦٨؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص ١٤.

(٤) انظر: الشماخي، السير، ج ١ ص ١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص ١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص ١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص ١٤.

(٥) انظر: مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص ٢٣٢.

وأبو منصور حاتم بن منصور الخرساني من الفقهاء البارزين، وممن أخذ عن الإمام أبي عبيدة، وتوجد له روايات في الجامع الصحيح، ورحل إلى مصر في آخر عمره^(١).

وكذلك الإمام بشر بن غانم الخرساني، ارتحل من خراسان إلى البصرة، وتعلم على أيدي طلاب أبي عبيدة، مثل الإمام الربيع بن حبيب، ثم خرج إلى بلاد المغرب قاصدا الإمام محمد بن عبد الوهاب في تيهرت، فجعل من مصر محطة رئيسة له، حيث اتصل بابن عباد المصري أحد كبار فقهاء الإباضية في المدرسة المصرية، وبدأ تأثير ابن عباد واضحا في انفتاح أبي غانم على الفقه المقارن^(٢)، وعاد إلى مصر واستقر بها بعد عودته من المغرب^(٣).

وعبد الله بن عبد العزيز البصري أحد أساتذة أبي غانم من أعلام القرن الثاني الهجري، وهو فقيه ومجتهد من أهل الرأي، يؤثر الدليل على روايات الفقهاء، ذكر في المدونة أكثر من ألف ومائة مرة، ترك البصرة في آخر عمره، واستقر بمصر وتوفي بها^(٤).

هؤلاء العلماء الكبار الذين أخرجتهم البصرة، صار منهم الفقيه والمفتي والسياسي، فبعدها أنهم بالبرصة رجعوا

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢٤٦.

(٢) انظر: بشر بن غانم الخرساني، مدونة ابن غانم، وزارة الأوقاف والشؤون

الدينية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ٩، ٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١١.

إلى مصر ينشرون المذهب، مما جعلهم يتمتعون بقدر كبير من الاحترام والتقدير بين المصريين، فنشروا المذهب بين الناس، واعتنقه على أيديهم عدد من المصريين، وبالتأكيد أنهم أسسوا مدرسة فقهية شبيهة بسرداب أبي عبيد، فتعلم فيها طلبة العلم، فصار يقصدها الإباضية من كل حذب وصوب، وهذا ما أذكره في مطلب «طلب العلم ودوره في الوجود الإباضي في مصر».

المطلب الثامن: طلب العلم:

العلم جوهر أي حضارة، وجوهر أي فكر، وهو معيار رقيها وتطورها واستمرارها، وقد حث ديننا الحنيف على طلب العلم والسعي في طلبه والترحال لجني ثماره؛ لما فيه من فضل ورفعة في الدنيا والآخرة.

وهكذا كان شأن أهل الحق والاستقامة منذ بداية عهدهم، شدوا الرحال من اليمن وعمان ومصر والمغرب العربي إلى البصرة، فقطعوا الفيافي والقفار، وتركوا الأهل والأولاد والخلان؛ من أجل البحث عن العلم وأهله من منبعه الصافي.

وكان لا بد من وجود مدد جديد يتابع حلقة العلم عوضاً عن التي كانت في البصرة، فطلاب العلم لا يقصدون مكاناً يلتمسون منه العلم إلا إذا كان فيه علماء كبار يعتد بهم في مجتمعهم، فقد حظيت مصر بهذا الجانب؛ لوجود حملة العلم الذي هاجروا إليها من البصرة كما أشرنا إليهم في مطلب حملة العلم، وخاصة في القرن الثاني؛ أمثال: ابن عباد المصري، وشعيب بن المعروف،

وعيسى بن علقمة، وأبي إسحاق إبراهيم، وابن اليسع، وأبي المؤرج عمر بن محمد، وأبي سعيد عبد الله بن عبد العزيز البصري.

فهؤلاء العلماء الجهابذة من الإباضية الذين اجتمعوا في مصر، وتعاصروا فيها، لا بد أنهم كَوَّنوا مدرسة إباضية على غرار مدرسة البصرة، وأصبحت هذه المدرسة مأوى لطلبة العلم من المصريين وغير المصريين، خصوصا وأنه في هذه الفترة لم تكن هناك أفكار متأصلة لفرقة معينة تعارض أفكارهم ومعتقداتهم.

ومن طلبة العلم في القرن الثاني الذين قصدوا المدرسة الإباضية المصرية الإمام بشر بن غانم الخرساني^(١)، وأيضا أبو منصور حاتم بن منصور الخرساني من فقهاء خراسان، تتلمذ على أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعبد الله بن عباد المصري الذي تلقى العلم على يديه في مصر^(٢).

ولقد شهد الفقه الإباضي في القرن التاسع تراجعًا وجمودًا بالمغرب العربي، وكانت أسبابه سياسية وفكرية، وقد دفعت حركة الضعف في التأليف إلى الرحلة نحو المشرق؛ خاصة إلى مصر حيث الأزهر الشريف، وفي هذه الفترة استقبل الأزهر العديد من طلاب العلم من الإباضية الذين استوعبوا منهجه، وتعرفوا على أساليبه ومفردات مقرراته^(٣)، هذه الرحلات إلى مصر عززت الوجود

(١) انظر: بشر بن غانم، مدونة ابن غانم، ص ٨ - ٩.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ١٣.

(٣) كلمات محقق كتاب الإيضاح للشماخي، ص ١٣.

الإباضي في مصر، فاختلطوا بعلماء مصر وبأهل مصر، وكان لهم دور في الجانب الثقافي والفكري والاقتصادي، ومن الذي قصدوا مصر للتعلم الشيخ أبو الربيع سليمان بن عبد الله المداني المبازيمي الشهير بالجربي، توجه إلى مصر سنة ٩١٦هـ/١٩١٠م، كانت غايته أن ينهل من العلوم العقلية والنقلية، ويأخذ عن الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم الكيلاني المصري في مدرسة الجيعانية بشاطئ بحر النيل ببولاق من أعمال مصر، فقد تخصص في العلوم العقلية، وبرز في المنطق، وله شرح على متن إيساغوجي للشيخ أثير الدين الأبهري، وكان يدرس في الأزهر ثم طرد؛ لأنه إباضي، فأضرب الطلاب لطرده، واضطرت الإدارة لإعادته^(١).

ومنهم من ذهب إلى مصر، ومن كثرة مخالطته لأقرانه من المصريين تأثر في لهجته، وهو أبو القاسم بن القاضي البديسي (ق ١٠هـ - ١٦م) من علماء جربة بتونس، عرف بالشيخ قاسم المصري؛ لأجل لهجته المصرية، تتلمذ على يد والده بجربة، ثم انتقل إلى مصر ليكمل تعليمه، فمكث بها فترة طويلة حتى صار من علماء زمانه، وخاصة في علوم اللغة العربية، وأصبح المقدم في الفتوى^(٢).

(١) انظر: أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص ٥٧ - ١٦٦؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٤٢٤.

(٢) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص ٨٥؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٤ ص ٧١٧.

ولقد بلغ طلبة العلم الذين وفدوا مصر مبلغا عظيما بين المصريين، فالشيخ محمد بن عمر بن أبي ستة القصبى السدويكشى المشهور بالمحشى الذى استقر بالوكالة طالبا، ثم مدرسا، وذاع صيته بمصر، حيث إنه قلما قرأ كتابا إلا وكتب عليه ما تيسر من التعليق، كما تولى التدريس بالجامع الأزهر، وكان يشار إليه بالبدر؛ لإشعاع نوره فى مجالس العلم والمناظرة بأروقة الأزهر، وقد امتدت إقامته بمصر ثمانية عشر عاما، ويذكر أنه تولى رئاسة البعثة العلمية بمصر^(١).

وكذلك ممن رحل إلى مصر وعزز من الوجود الإباضى ابن عم المحشى أبو زيد أحمد بن أبي ستة القصبى، رحل إلى مصر، ودرس فى الأزهر، وبالمدرسة الإباضية بطولون، وشجعه على الإقامة بالقاهرة وجود عدد من أقاربه وأفراد أسرته^(٢).

وعمر بن رمضان الجربى التلاتى (ت: ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م) ولد فى جربة، وأخذ العلم عن أبيه، ثم انتقل إلى مصر، حيث استقر فى القاهرة، ودرّس فى المدرسة الإباضية بجامع ابن طولون، كما

(١) انظر: علي يحيى معمر، الإباضية فى موكب التاريخ، ص ٦٠٦؛ الجعبرى، البعد الحضارى، ص ١٤؛ محمد رجب، الإباضية فى مصر، ص ١٠١؛ أحمد مصلح، الوقف الجربى فى مصر، ص ٥٩ - ١٣٣؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٣٣١.

(٢) أحمد مصلح، الوقف الجربى فى مصر، ص ٦٠؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٢ ص ١٤٦.

كان يلقي دروساً تطوعية بالجامع الأزهر الشريف، وله باع في جمع الفنون من المعقول والمنقول^(١).

ومما سبق نجد أن الإباضية قد تعلموا من علماء الأزهر، ولم يجدوا حرجاً في ذلك، فعبد الله بن يحيى الباروني النفوسي (ت: ١٣٣٢هـ/١٩١٤م) نزل جامع الأزهر، وأخذ العلم عن الشيخ إبراهيم السقا، والشيخ محمد الأشموني والشيخ عبد الرحيم الطهطاوي وغيرهم من أقطاب الأزهر آنذاك، وأثناء اشتغاله في الأزهر جلس مجلس المعلم في وكالة الجاموس^(٢).

وبعض الطلبة عندما ذهب يتعلم؛ خالط العلماء والأدباء، وشارك في الحركات السياسية أمثال عمرو النامي الذي زار مصر، وكان ذهابه لإكمال دراسته العليا، والتحضير لرسالة الماجستير، وشجعه على الجلوس بها وجود أبي إسحاق اطفيش، نزيل مصر ودفينها، كما أنه اطلع على كنوز التراث الإباضي التي كانت تدخلها وكالة الجاموس في حي طولون، ودار الكتب المصرية^(٣).

ذكرت هذه الأسماء جملة ليس تفصيلاً؛ فالإباضية الذين درسوا في مصر ليسوا قليلين، سواء من الرعيل الأول أو من المعاصرين، ويقف الأزهر شامخاً كالجبل، تصغي الدنيا لمنابره، أكثر من ألف

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٢) المرجع السابق، ج ٣ ص ٥٨٥.

(٣) سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، عمرو النامي مسيرة عطاء في درب

الخير، مكتبة الأنفال، ط ١: ١٤٢٩هـ، ص ٣٩.

عام وطلاب العلم والمعرفة من كل صقع يغدون إليه جياعا، ويروحون عنه شباعا، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وإن كان موقع الأزهر بمصر إلا أنه يمتد ببصره وبصيرته إلى جميع أنحاء العالم، وكان قيامه على أساس الوسطية، ولعل هذه الوسطية هي التي جلبت الإباضية إليه؛ من أجل ذلك قدم الأستاذ الدكتور محمد علي محمد - أستاذ التاريخ الحديث بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر - ورقة عمل بعنوان «البعثات العُمانية إلى الأزهر»، وفي ورقته ذكر جملة من المشايخ والقضاة والأساتذة الذين درسوا بجامعة الأزهر، وأصبحت لهم مناصب مرموقة في عُمان^(١).

ولا شك أن هؤلاء طلبة العلم كان لهم تأثير في المنظومة المصرية من تغير بعض الأفكار والتعريف بالمذهب وغيرها من الأمور التي ساعدت على تعزيز الوجود الإباضي في مصر.

(١) انظر: مقطع مرثي بعنوان: «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة».

المجلد الثاني

دور الإباضية في مصر

المبحث الأول: دور الإباضية الديني.

المبحث الثاني: دور الإباضية السياسي.

المبحث الثالث: دور الإباضية الاجتماعي.

المبحث الرابع: دور الإباضية في التنمية الثقافية.

المبحث الخامس: دور الإباضية في التنمية الاقتصادية.

تمهيد:

الإباضية أينما حلوا وارتحلوا وضعوا بصمة خير في تلك المنطقة، وفي مصر لم يكن الإباضية بمعزل عن الحركة العلمية والاقتصادية والسياسية التي شملت أطراف المصريين، بل كان لهم قدم صدق وقول حق في هذه المجالات منذ عهدهم الأول.

فالإباضية كانوا ولا يزالون يصنعون التاريخ مع غيرهم، ولم يكونوا يوماً ما في جزيرة معزولة عن مجريات الواقع في العالم الإسلامي، فتراجع أعلامهم جزء من تراجم غيرهم، وتأريخ أحداثهم جزء من تأريخ غيرهم، هم نسيج من هذا العالم الكبير^(١)، «وما زالت الدراسات التاريخية - قديمها وحديثها - قاصرة عن وضع تصور شامل لدور رجال الإباضية في تأريخ إفريقية، سواء في شمال القارة أو في شرقها أو في وسطها»^(٢)، فقد كان الذين وفدوا إلى مصر من بلاد المغرب لهم دور بارز وفعال في مختلف المجالات، وكان لوحدتهم الاجتماعية، وتضامنهم الاقتصادي،

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ص ١٥.

(٢) محمد قرقرش، تأريخ الإسلام في إفريقيا مع دراسة للدور العُماني، بسمه للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ص ٢٠٩.

وتأثيرهم في الحياة الثقافية في مصر؛ أعطى الأمكنة التي يسكنونها طابعا مغربيا لا يُنكر إلى الآن^(١).

إن الاحتكاك اليومي بالمخالفين من قبل إباضية مصر، ومحاولة القيام بعملية التأثير إما مشافهة كحوارات شخصية وإما عن طريق القدوة بما يشاهده المخالف من الإباضي وهو يقوم بأعمال تتعلق بالعبادات أو حتى بالأعمال الروتينية اليومية^(٢)؛ كان لها أثرها في الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وهذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

وسنلاحظ دور أبي إسحاق كان أكثر من غيره؛ لأن حياة أبي إسحاق جديرة بالاعتبار والاقتداء، فهي نموذج حيّ لهؤلاء الرواد الإصطلاحين الذين حملوا عبء النهضة العربية الإسلامية ما بين الحريين على كواهلهم، وناضلوا بأقلامهم ومواقفهم، وتصدوا لكل أعداء الإسلام - وما أكثرهم - واستطاعوا بإيمانهم الراسخ أن يفضحوا أساليب الغزو الفكري التي كان يدسها الصليبيون مندسين خلف جيوشهم العسكرية والتبشيرية والاستشرافية^(٣).

(١) عبد الرحيم عبد الرحمن، وثائق المغاربة في الإسكندرية في القرن التاسع عشر، المجلة التاريخية المغربية ١٩٩٨م العدد ٨٨ ص ٥٦٧، نقلا عن أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص ١٠١.

(٢) صالح الهطالي، دور المذهب في التأثير والتأثر، ص ٨.

(٣) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ١٠.

المبحث الأول



دور الإباضية الديني

كان للإباضية تأثيرٌ في الجانب الديني منذ عهدهم الأول، من خلال الدعوة التي قاموا بها في مختلف الأزمنة، ومن خلال الاختلاط والانسجام مع غيرهم، وكانت أي حركة تصدر منهم في المجال السياسي أو العلمي هي نابعة من رحم الشريعة الإسلامية، فكانت هي المحرك والموجه لهم في حياتهم.

وإذا جئنا إلى الأحداث التاريخية نجد أن علماء الإباضية تركوا أثراً واضحاً وخاصة في القرن الثاني، فهم من العلماء الكبار الذين أخرجتهم البصرة، فصار منهم الفقيه والمفتي والسياسي، فبعدما أنهوا دراستهم بالبصرة رجعوا إلى مصر ينشرون المذهب؛ مما جعلهم يتمتعون بقدر كبير من الاحترام والتقدير بين المصريين، فنشروا المذهب الإباضي بين الناس، واعتنقه على أيديهم عدد من المصريين، وبالتأكيد أنهم أسسوا مدرسة فقهية شبيهة بسرداب أبي عبيدة، فتعلم فيها طلبة العلم، فصار يقصدها الإباضية من كل حذب وصوب، وهذا ما ذكرته في مطلب طلبة العلم ودوره في الوجود الإباضي، ف«الدعوة بالأسلوب الحسن

تؤلف النافر، وتقرب الشارد، وتدني البعيد؛ حتى يكون الخصم اللدود كأنه ولي حميم»^(١).

وقد بذلت جهداً لأجد معلومة في كتاب مصري تتحدث عن منزلة الإباضية في مصر وقدرهم؛ ليكون شاهداً من أرض الواقع، حتى أكرمني ربي أن وجدت في كتاب تأريخ المصريين هذه المعلومة التي تدل على وجود الإباضية وبلوغهم مكانة مرموقة عندما قال صاحب الكتاب: «محمد بن يحيى بن أبي المغيرة بن أخضر المصري يكنى أبا عبد الله، محدث، كتبت عنه، وكانوا يوثقونه، كان إباضياً أدبياً، له منزلة عند أهل البلد، توفي في ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين ومائتين»^(٢)، وهذا العالم الجليل الذي كان له أثر كبير بين المصريين هو أصله مصري وليس مغترباً لأن صاحب الكتاب ذكره في الجزء الأول، ولم يذكره في الجزء الثاني الذي يتحدث عن تأريخ الغرباء.

وبلغ الإباضية في نشاطهم مبلغاً عظيماً بين أقرانهم، فالشيخ محمد بن عمر بن أبي ستة القصبى السدويكشى المشهور بالمحشى الذي استقر بالوكالة طالباً، ثم مدرساً، وذاع صيته بمصر حيث إنه قلما قرأ كتاباً إلا وكتب عليه ما تيسر من التعليق، كما تولى التدريس بالجامع الأزهر، وكان يشار إليه «بالبدر»

(١) أحمد بن حمد الخليلي، الدين والحياة، ص ١٣٧.

(٢) أبو سعيد عبد الرحمن الصدفى، تأريخ ابن يونس الصديق، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ١ ص ٤٦٥.

لإشعاع نوره في مجالس العلم والمناظرة بأروقة الأزهر، وقد امتدت إقامته بمصر ثمانية عشر عاما، فإذا أطلقت كلمة «البدر» بين علماء الأزهر المعني بها أبو عبد الله بن أبي ستة^(١)، وممن تطوع لإلقاء دروس في الأزهر أبو حفص عمرو بن رمضان التلاتي^(٢) الذي أخفى سفره عن أهله خشية أن يمنع، فدخل مصر وتلقى العلم لفترة، ثم تولى التدريس بوكالة الجاموس بانتظام، فحضر حلقاته العديد من الطلبة الجريين وغيرهم وصارت الوكالة في عهده تعج بالحركة، وامتد نشاط التلاتي إلى الأزهر، فتطوع وألقى به دروسا، وقد استقر بالوكالة في مصر إلى أن توفاه الله^(٣).

ومنهم من ذهب إلى مصر، ومن كثرة مخالطة أقرانه من المصريين تأثرت لهجته، وهو أبو القاسم بن القاضي البديسي (ق ١٠هـ ١٦م) من علماء جربة بتونس، عرف بالشيخ قاسم المصري لأجل لهجته المصرية، تتلمذ على يد والده بجربة، ثم انتقل إلى

(١) انظر: علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص ٦٠٦؛ الجعيري، البعد الحضاري، ص ١٤٧؛ محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ١٠١؛ أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص ٥٩ - ١٣٣؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٣٣١.

(٢) عمرو بن رمضان الجربي التلاتي (ت: ١١٨٧هـ/١٧٧٣م) ولد في جربة، أخذ العلم عن أبيه، ثم انتقل إلى مصر حيث استقر في القاهرة، ودرس في المدرسة الإباضية بجامع ابن طولون، كما يلقي دروسا تطوعية بالجامع الأزهر الشريف، وله باع في جمع الفنون من المعقول والمنقول. انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٦٦٣، ٦٦٤.

(٣) انظر: الجعيري، البعد الحضاري، ص ١٦١؛ أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص ٦١، ١٣٨.

مصر ليكمل تعلمه، فمكث بها طويلاً حتى صار من علماء زمانه، وبخاصة علوم اللغة العربية، وأصبح المقدم في الفتوى^(١)، ونجد هنا التأثير المصري على القادمين من خارجها، هذا التأثير يدل دلالة واضحة على الانسجام والاختلاط مع المصريين، فلكونه عالمًا ومفتيًا فبال تأكيد أنه كان يجالس العلماء المصريين.

ولم يكن الإباضية بمعزل عن غيرهم، فنرى حوارات ومناظرات تجمعهم مع غيرهم، ف«من المعلوم أنه ليس كل جدل مذمومًا، فهناك الجدل المحمود الذي يقصد به الدعاء إلى الحق المبين والحكمة والموعظة الحسنة، ووسمه القرآن بالتي هي أحسن... فالحوار منهج لتبادل الرأي، واستخلاص زبدة الفكر، وصفوة القول، من خلال تقادح الأذهان بين جمهرة المثقفين للوصول إلى كلمة سواء ونصرة الرأي الصواب»^(٢) بشرط أن تكون مؤطرة بالحب واللين والرد العلمي المنطقي، المبنية على أسس متينة وصلبة، وليست على أرض هشة، وتكون بعيدة كل البعد عن السباب والشتائم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالنِّسْبَةِ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فلا بد من وجود دعوة حق تسري في أوساط الناس كما يسري الضوء في الفضاء فيطوي منه سجاج الظلام؛ ليتعاونوا جميعاً على البر والتقوى^(٣).

(١) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص ٨٥؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٤ ص ٧١٧.

(٢) أ. د. الزيني، منهج للحوار، ص ٥٥.

(٣) الخليلي، الدين والحياة، ص ٤١٧ - ٤١٨.

فقد كان تجمع الإباضية في مصر مع غيرهم حوارات كثيرة للتعريف بالمذهب، والرد على المتهجمين على المذهب، وممن كتب في ذلك رائد الصحافة الإباضية قاسم بن سعيد الشماخي، الذي أثار في الحياة الدينية في مصر بالتعريف بالمذهب وتبيان الحق، فكتب رسالة بعنوان «القول المتين في الرد على المخالفين»، أنشأها سنة ١٣٢٣هـ في نقض أغاليط تضمنتها مجلة تدعى «مجلة الإسلام» لصاحبها ومحررها أحمد علي الشاذلي الأزهري، وهو يحارب فيها كل دعوات الإصلاح والتجديد، وتركز رد الشماخي في نقطتين: مسألة افتراق الأمة إلى مذاهب، ومسألة تميز الإباضية من الخوارج، وتوضيح معتقدهم، وقال عن المجلة العلامة السيد محمد رشيد رضا في مجلة المنار^(١): وكان الشيخ قاسم ظن أن لهذه المجلة شأنًا، أو لما تكتبه وقعا، فعنى بالرد عليها، وما هي مما يرد عليه، ولو عرف حقيقتها لما بذل شيئًا من الزمن في قراءتها^(٢)، وكذلك كتب رسالة بعنوان «الظهور المحتوم في الرد على العلامة الأزهري طموم»^(٣) وهي رسالة تعريف

(١) المنار مجلة شهرية: تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران، لمنشئها السيد محمد رشيد رضا. عنوانها: مصر بشارع درب الجماميز. تطبع بمطبعة المنار. وصدر أول أعدادها سنة ١٣١٥هـ/١٨٩٨م - سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني - قبسات من أنوار البدر الزاهر - الأجيال، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٣٥٩.

(٢) الشيباني، أنوار من قبسات البدر الزاهر، ص ١٦٦.

(٣) خرج الكتاب مطبوعًا عام ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، نشر وتوزيع مكتبة خزائن الآثار، بسلطنة عُمان، بركاء.

بالمذهب الإباضي والمردود عليه هو العلامة محمد طوموم أحد المشايخ بأزهر مصر^(١).

أقامت المجلات التي يصدرها الإباضية في مصر دورًا بارزًا في تغير مفاهيم عديدة تعلقة بالمذهب الإباضي أو بحال الأمة، فهذه المجلات تطبع في مصر وتوزع أيضا فيها؛ فبال تأكيد لها دورٌ جليّ، وقد أثرت على البعض حتى في مذهبه، فيقول الإمام السالمي عن مصطفى المصري: «فرجع عن مذهب الأشاعرة إلى مذهب الحق، وهو أوسع أثرابه علما وفاقهم كياسة، ها هو قد نصب نفسه داعيا إلى الله ينادي بلسان الحال والمقال»^(٢).

لو كانت في مصر دولة إباضية لأصبح أثرها حاضرا وواضحا، يقول الشيخ أحمد بن سعود السيابي معلقا على أهمية وجود دولة تحفظ المذهب: «أخبرني الشيخ محمد بن إبراهيم اطفيش أن والده الشيخ أبا إسحاق اطفيش كان يتمنى أن يدرس المذهب الإباضي في الأزهر، وقد حاول ذلك ولكنه لم يُوفق، وقال إن هذا الأمر يحتاج إلى قرار سياسي يتبناه ويتابعه»^(٣)، وعسى أن تكون محاولة أبي إسحاق حاصدة لثمارها في هذا الوقت بعد الندوة التي أقيمت في جامعة السلطان قابوس التي كانت بعنوان (العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة)؛ سأحدث عنها في الفصل القادم.

(١) المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٢) السالمي، اللمعة المرضية، ص ٨٨.

(٣) السيابي، التواصل الإباضي، ص ٤٦.

المبحث الثاني



دور الإباضية السياسي

تميزت المدرسة الإباضية منذ نشأتها بعدم الفصل بين الدين والدولة؛ لأن عدم الفصل ضرورة شرعية تحتاج إلى حراسة وسياسة، فهي تستلزم وجود شخصية سياسية تؤمن به، وتسعى إلى نشره بين الناس، وإلا لبقيت تلك التعاليم مجرد نظريات لا أثر لها على الواقع^(١)، وهذا ما يراه الشيخ أحمد الخليلي في أن المذهب الإباضي لا يفصل بين السياسة والدين، وأنهما (توأمان)، ويسيران جنبا إلى جنب، وأن المذهب الإباضي يهتم بالدين، ولا يغفل عن السياسة^(٢)، «وعلى الرغم من أن لمنصب الإمام بصورة أساسية صبغة روحية؛ فإن وظائف الإمام لا تقتصر أبداً على الممارسات الدينية، بل تشمل كل شؤون الدولة السياسية والعسكرية والمالية، علماً أن الإمامة لم تكن حكراً على العلماء فقد شغل هذا المنصب... شخصيات مستقلة لا تنتمي إلى جماعة العلماء»^(٣).

(١) إسماعيل الأغبري، المدخل إلى الفقه الإباضي، ص ٣١٤.

(٢) محمد المدني، الإباضية، ص ١٢.

(٣) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص ٣٤٦.

كان للإباضية في مصر نشاطٌ كبيرٌ، وكان لهم فيها علماء بارزون وصلوا إلى درجة الفتيا، وكان لهم وجود قوي حتى أنهم تدخلوا أحيانا في مجرى الأحداث السياسية في مصر وخارجها^(١)، فمن خلال الأسطر الآتية سيتبين عمق العلاقة بين الإباضية والسياسة منذ عهدهم الأول في مصر.

كانت الدولة الأموية تقف بالمرصاد لانتشار المذاهب المعارضة لها، وكان على رأس هذه المذاهب المذهب الإباضي الذي تسلل إلى مصر قبل أن ينتهي القرن الأول للهجرة^(٢)، ففي عهد الوليد بن عبد الملك كان الأمير على مصر قرّة بن شريك العبسي القنسريني، أمره الوليد ببناء جامع الفسطاط والزيادة فيه، وقيل إن قرّة بن شريك كان إذا انصرف الصنّاع من بناء المسجد دخل المسجد، ودعا بالخمّر والطبل والمزمار، فشرب، ويقول: لنا الليل، ولهم النهار، وكان قرّة بن شريك من أظلم خلق الله، وهمت الإباضية بقتله والفتك به، وتبايعوا على ذلك، فبلغه ذلك، فقتلهم^(٣).

وقد قام إباضية مصر بالاتصال بإخوانهم من الإباضية في الخارج، ففي عهد طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي الذي

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨.

(٢) بتصرف: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ٢٦٧.

(٣) أبو سعيد عبد الرحمن الصديقي، تأريخ ابن يونس الصديق، ج ٢ ص ١٦٧.

وانظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاية وكتاب القضاة، ص ٦٤.

أعلن قيام دولته في اليمن أرسل داعيه إلى مصر لدعوة أهل مصر لبيعته، فاستجاب له نفر من قبيلة تجيب اليمنية وغيرها من القبائل التي تقيم في مصر^(١)، فبلغ هذا الأمر حسان بن عتاهية الذي كان قائدًا للشرطة، فقبض عليهم، وأمر بقتلهم، فقتلوا، وكان هذا في آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد^(٢).

أما في عصر الدولة العباسية قامت حركة إباضية مصرية ضد الحكم العباسي فيها عام ٢١١هـ/٨٢٦م في عصر الخليفة المأمون، وكانت حركة خطيرة عليهم؛ حيث أرسل المأمون قائد جنده عبد الله بن طاهر الفارسي لقمع الثورة والثوار، فانتصر عليهم^(٣).

ولم يكن الإباضية على عداء مع غيرهم في كل الأوقات، «فعندما يكون الإباضية مواطنين في دولة ملتزمة بمذهب غير مذهبهم؛ فإن عليهم أن يخضعوا لقوانينها، وأن يرضوا بأحكامها، ولو كانت مخالفة لآراء مذهبهم... وعليهم أن يتعاونوا معها في كل شيء ما لم يكن معصية»^(٤)، وهذا ما نراه في مصر من مشاركة الإباضية في المناصب السياسية، ففي ربيع الآخر من عام ٣٢٨هـ/أكتوبر ٨٥٢م كان الوالي الذي تولى حكم مصر معتنقا لهذا

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ١٢٥، نقلا عن سيدة الكاشف، مصر في فجر الإسلام، ص ١٤٠

(٢) بتصرف: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ٢٦٧

(٣) بتصرف: محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ١٢٨

(٤) معمر علي يحيى، الإباضية بين الفرق الإسلامية، جمعية التراث غرداية،

ط ٣: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص ٣٩٤

المذهب؛ لذلك اعتبره المؤرخون إباضيا؛ مما جعل ابن حزم الظاهري يقول: إنه لم ير في مصر لبني العباس مثله، وإنه كان من أعدل الناس، وإنه كان يتهم بمذهب الخوارج لشدة عدله وتحريه للحق.

وظل إسهام الإباضية في مجال السياسة في مصر يظهر بين الحين والآخر، سواء بشكل جماعي أو فردي، ومن أبرز الشخصيات التي أثرت في مسيرة الحركة السياسية في مصر:

(١) الشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت محرم ١٣٠٢هـ)، الذي قدم من المغرب للتزود من العلم الأزهرى، والتضلع في العلوم العربية والشرعية، وكان رحيله إلى مصر حوالي سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، ويبدو أنه رجع إلى وطنه فترة قصيرة، لينزل مصر بعد ذلك مستوطنا لها ومقيما بها حتى وفاته؛ حيث درس في الأزهر على الشيخ السقا (ت: ١٢٩٨)، وجمع بين العلم الشرعي والمسؤولية السياسية؛ حيث شغل منصبا سياسيا هو قنصل تونس بمصر يهتم بأفراد الجالية وشؤونها الاقتصادية والسياسية، وذلك في عهد الباى أحمد مصطفى (١٢٥٣ - ١٢٧١)، والباى محمد الصادق بن حسن (١٢٧٦ - ١٢٩٩)، وكان سياسيا محنكا، حتى صار مرجعا ومستشارا للخديوي توفيق باشا (١٢٩٦ - ١٢٠٩)^(١)، فهو «يحتل مكانة مرموقة في الأوساط

(١) انظر: الوقف الجربي، ص ١٦٥/١٤٩؛ والشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر،

العلمية، فيكفي للدلالة على مكانته أن الحكومة التونسية قد اختارته وكيلا لها على شؤونها في مصر على ما لتونس من الرجال في ذلك الحين»^(١).

(٢) أما ابنه قاسم بن سعيد الشماخي فقد ورث أباه في منصبه؛ إذ عينته الدولة التونسية قنصلا عاملا لها بمصر، إضافة إلى اشتغاله في عدة وظائف مرموقة أهلتها لها معرفته باللغة الإنجليزية^(٢)، فقد تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم العصرية بمدرسة حديثة رغم معارضة والده من الدخول بها خوفا عليه من تأثره بالغرب، ثم وافق بعد توسط باشا خزندار أحد أعيان مصر^(٣).

(٣) سليمان باشا الباروني، نصحه والي طرابلس بالسفر إلى مصر أو تونس، فاختار مصر المحروسة عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)^(٤)، ربما لوجود الجالية الإباضية والأزهر الشريف، وكذلك للأحداث التي تعيشها مصر في تلك الفترة من نشاط ثقافي وفكري، وظهور الجمعيات والأحزاب التي تسعى إلى التغيير، واستغل الباروني هذه الظروف في مصر، فأخذ ينشر أفكاره السياسية وذلك بنشر مقالاته في الصحف، ووجد الباروني أن من الضروري أن ينشر الفكر الإسلامي السياسي الصحيح في نظره، وقد سار على منهج

(١) الإباضية في موكب التاريخ، ص ٤٢٦.

(٢) انظر: معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٣٨١، ٣٨٢؛ وقبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ١٦١؛ ومحمد المدني، الإباضية، ص ١٥٤.

(٣) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ١٦٠.

(٤) بتصرف: جبران محمد مسعود، سليمان الباروني وآثاره.

جمال الدين الأفغاني، وتلميذه محمد عبده، وهي فكر الجامعة الإسلامية التي نادى به الكثيرون^(١).

ويعتبر الباروني من أبرز السياسيين في عصره^(٢)، فقد كان مندوباً للسيد تيمور بن فيصل إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن السعودي من أجل الصلح بين سلطان نجد والملك علي بن حسين، وكانت الرسالة عام ١٣٤٣هـ، ومما جاء فيها: «... منذ برهة من الزمن انقطعت المواصلات والمكاتبات الودية بيننا فعساها لشاغل خير والباعث على تحرير طرسنا هذا الودادي هو أن حامله جناب الشيخ الجليل عندنا سليمان باشا الباروني أحد رجال الإسلام ومن علماء مذهبنا... كلفناه بأن يعرب لعظمتكم عن إحساساتنا الدينية توضيحاً لما كتبناه هنا، فالمرجو اعتماد كلامه في هذا الصدد فإنه الثقة الأمين، ولا شك في أن لكم الخبرة التامة فيه وفي أمثاله^(٣)، وله تفان وتضحية في كل ما يتعلق بإصلاح

(١) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني - في المهجر، تخرج في كلية

العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص ٤٧

(٢) انظر: المنير عبد الحميد بن سعدون، سليمان باشا الباروني وحضوره في

الثقافة العُمانية، ص ١٣.

(٣) لم يأتِ كلام السلطان تيمور من عبث عندما وصفه بهذا الوصف فقد خبر

الباروني السياسة من كل جوانبها وعرفها وعرفته من معركته مع الاحتلال

الإيطالي في ليبيا، وعلاقته مع الدولة العثمانية التي أوصلته إلى عضوية مجلس

المبعوثين في تركيا، وله علاقات مع أصحاب القرار في مختلف الأمصار وهو

في الحقيقة رجل يشار إليه في سبيل الإصلاح، ومن أراد الزيادة فليقرأ كتاب

سليمان باشا الباروني في أطوار حياته للشيخ إبراهيم أبي اليقظان.

حال الأمة الإسلامية»^(١)، لقد بارك الإمام محمد بن عبد الله الخليلي هذه الوساطة، فكتب إلى الباروني: «وقد استحسننا جدا تكليف السلطان إياك بالتوجه إلى الحجاز، مندوبا من طرفه، وحامل كتب نصحته إلى المتحابين، فنعم الرأي رأيتماه»^(٢).

(٤) إبراهيم بن يوسف اطفيش (أبو إسحاق) أحد أبرز الرجال الذين أثروا في الحياة السياسية، فهو من تلاميذ قطب الأئمة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، فقد أسهم في النهضة الإصلاحية داخل الجزائر وخارجها^(٣)، «لقد كان جسمه في القاهرة، ولكن فكره وقلبه في الجزائر، ولم يغفل عنها يوما واحدا، فيجاهد لحياتها وشباب نهضتها، وما أنشأ مجلته القوية المفيدة (المنهاج) إلا لتكون غذاء وروحا لنهضة الجزائر، وسلاحا للجزائر في الخارج يقمع الظالمين والمفسدين»^(٤).

وقد شارك أبو إسحاق بدعوة من المفتي الحسيني في المؤتمر الإسلامي الأول للقدس عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ممثلا للإباضية ولشمال إفريقيا^(٥).

(١) المنهاج، ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) الربخية، دور الإباضية في توحيد الأمة، ص ٣٠.

(٣) عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مكتبة الضامري، ط ٣: ٢٠٠٧م، ص ١٣١.

(٤) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة وثروتها المباركة، المطبعة العربية - الجزائر، ١٩٦٩م، ص ٣٧ - ٣٨.

(٥) انظر ما جاء في المؤتمر: قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ٣٨٤.

لأبي إسحاق إسهم فعال في الثورة العُمانية، فقد كان عضواً نشطاً في مكتب إمامة عُمان بالقاهرة^(١)، وعندمت تكلم حسين عبيد غانم غباش عن القضية العُمانية في الجامعة العربية؛ قال: «وقد لعب الشيخ إبراهيم اطفيش، وهو سليل أسرة من كبار العلماء في ميزاب الجزائر؛ دوراً سياسياً نشطاً لصالح عُمان، وإذ عرف بصفته سفير عُمان في القاهرة؛ فقد وضع كل ثقله ليحصل على انضمام عُمان إلى الجامعة العربية وعلى إدانة الاعتداءات البريطانية»^(٢) وهي من أهم القضايا التي شغلت بال أبي إسحاق، وعمل ميدانياً في مجالات السياسة^(٣)، ففي سنة ١٩٥٤م/١٣٧٤هـ شغل منصب سفير لعُمان في الجامعة العربية بالقاهرة وفي سنة ١٩٥٦م/١٣٧٦هـ أسس أول مكتب سياسي للدولة العُمانية في القاهرة^(٤).

وكانت صلات أبي إسحاق بالحركات الإسلامية متينة جداً، فقد شارك في جمعية الهداية الإسلامية التي أنشأها صديقه الشيخ محمد الخضر، وعمل أيضاً في صفوف جمعية الشباب المسلمين، وكان عضواً في لجنة التأسيس، وكان على صلة وطيدة بالشهيد حسن البناء^(٥).

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٤ ص ٤٦.

(٢) حسين عبيد، عُمان الديمقراطية الإسلامية، ص ٣١٧.

(٣) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ٧٥.

(٤) مجلة الحياة العدد الرابع عشر مقال للدكتور مصطفى بن صالح بعنوان الشيخ أبو إسحاق اطفيش فقيهاً، ص ٥٦.

(٥) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ٥٢.

(٥) عمرو خليفة النامي (و ١٣٤٨هـ / ١٩٣٩م)^(١)، انخرط في الحياة السياسية قليلاً بجانب دراسته، ويبدو أن توجهاته هذه عجلت خروجه من مصر، فأغلقت الأبواب في وجهه عقب أحداث سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، وما صاحبها من اعتقالات الإخوان المسلمين، وتضييق الخناق عليهم، ولم يجد بداً من الفرار بجلدته؛ لكونه يدور في الدائرة نفسها، تاركاً شأن الدراسات العليا، وهي نفس السنة التي توفي فيها أبو إسحاق^(٢)، ويذكر أن السلطات المصرية حكمت على النامي بخمس عشرة سنة سجناً لاتصاله المباشر بسيد قطب^(٣).

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٦٦٦.

(٢) الشيباني، عمرو النامي، ص ٤٠.

(٣) دراسات عن الإباضية، ص ١٢.

المبحث الثالث



دور الإباضية الاجتماعي

إن الإنسان مدني بطبعه، اجتماعي بفطرته، فهو يندفع إلى العيش ضمن جماعة يتفاعل معها، فينتج عن هذا التفاعل ألواناً من المواقف، إن من ينطلق من فكرة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]؛ لا يمكن أن تتوه به السبل، ولا قدرة للطرق أن تتشتت به وتفرقه، ومن كان مبدؤه الحرية الإسلامية لا ينظر إلى الشكل أو اللون، وهنا تكمن العدالة الإنسانية من يتمسك بهذا النظام، يستطيع أن يقف على أرض صلبة تغمره الفرحة والسعادة وهكذا كان دأب أصحابنا في مصر، فقد تطورت العلاقات الاجتماعية بين الإباضية والمصريين.

فكان لمخالطتهم المجتمع المصري أثر طيب في تقوية العلاقات بينهم، وهذا هو شأنهم منذ القرن الثاني الهجري، فمحمد بن عباد لم يكن يستفتى من الحكام فقط، وإنما كان يستفتى أيضاً من عامة الناس الذين كانوا يأتون إليه من أنحاء مصر أو من بلاد المغرب^(١)، فعلاقتهم الاجتماعية هي كانت الأساس

(١) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ٩٦؛ نقلاً عن الشماخي، ج ١ ص ١١٢، ١٩٨.

في بناء بقية العلاقات، فنتجت بينهم علاقات دينية وثقافية وسياسية كما ذكرت ذلك سلفا، فلم تكن هذه العلاقات بالكلام، بل تعدت إلى أبعد من ذلك، فقد جمعتهم رابطة مقدسة وهي الزواج، وهذا ما نجده في العصور المتأخرة، فقد تزوج سعيد بن عمر الإباضي بسيدة مصرية وهي صديقة لجهان السادات، وكذلك الأمر مع أسرة بن داود حيث تزوج الشيخ مهني من فاطمة عبد الله الباروني، وخلف ثلاثة ذكور، كلهم تزوجوا بمصريات، وهذه الزيجات الطيبة تكون أحيانا من الجانب المصري للجاليات الإباضية، فعبد الرحمن الشرباصي المصري تزوج بأم محمد ابنة الشيخ مهني الذي ذكرناه سلفا^(١).

وسنذكر بعضًا من العلاقات الاجتماعية الوطيدة التي ربطت بين رجالات الإباضية ومفكرين وأدباء مصر؛ ومن أبرزهم:

(١) إبراهيم بن سعيد التالبي من علماء أسرة شهيرة بالعلم أصلها من والغ بجزيرة، وإقامتها بمصر، كان فقيها له سمعة كبيرة بين شيوخ جامع الأزهر متينة مع بعضهم، تولى إدارة الأوقاف الإباضية بمصر ومن بينها وكالة الجاموس^(٢).

(٢) الشيخ محمد دبوز الذي غامر بالسفر برًا على الأرجل، وبدون جواز أيام الحرب العالمية الثانية قاطعا الحدود التونسية

(١) الوقف الجربي، ص ١٠٧.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٢ ص ١٥؛ والوقف الجربي،

والليبية والمصرية الطويلة، وقد استقر بالقاهرة، وانتظم بالدراسة في الأزهر، وارتبط بدار الكتب المصرية، وتعرف على أدباء مصر؛ مثل: محمد عطية الأبراشي، وأنور الجندي، وسعيد العريان، ودرس على يد الدكتور، عزام وأحمد أمين، وعباس محمود العقاد^(١).

(٣) قطب الأئمة أحمد بن يوسف اطفيش، فقد مر على الوكالة أثناء حجه، ولقي بالأزهر الشريف علماء أجلاء، تحاور معهم حول المشكلات الاجتماعية السائدة على ساحة العلم ووسائل معالجتها^(٢).

(٤) الشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت محرم ١٣٠٢هـ)، كانت له وجاهته وحضوره المشهود له بمصر، حتى أقره جهابذة الأزهر بصلاح مذهبه واستقامته؛ كالشيخ أبي العلا الخلفوي، والشيخ عبد الرحمن البحراوس، والشيخ محمد العباسي مفتي الديار المصرية^(٣).

(٥) قاسم بن سعيد الشماخي ارتبط بعلاقات عديدة مع أفاضل وأعيان وعلماء عصره، فمن أهل مصر صاحبه ورفيقه مصطفى بن إسماعيل العمري الفارضي (ت: ١٣٣٠هـ)... والشيخ المصلح محمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ)، وتلميذه العلامة السيد محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)^(٤).

(١) الوقف الجربي، ص ١٠٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٣) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ١٥٢.

(٤) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ١٦١.

٦) الشيخ سليمان الباروني كانت له علاقات قوية مع رجالات مصر من العلماء والأدباء، أمثال المفكر والكاتب والمحاضر بالجامعات المصرية الشيخ طنطاوي جوهرى، ومع إسماعيل صبري، وهو من شيوخ الإدارة والقضاء في الديار المصرية^(١)، كما كانت له صلات مع العديد من الجمعيات، كان أبرزها جمعية مكارم الأخلاق، وانتمى إلى الحزب الوطني الذي كان يرأسه مصطفى^(٢).

كما قام الباروني ببعض الأعمال البطولية؛ من ذلك أنه انبرى خطيباً يدافع عن حزب مصطفى كامل (ت: ١٣٢٦هـ)، وهو صاحب جريدة اللواء، ولقد رثاه الباروني عندما توفي^(٣).

وجمعت بالباروني علاقة وطيدة مع الكاتب الكبير مصطفى صادق المنفلوطي، نلتمسها من القصيدة التي بعثها إليه ليقرض ديوان الحضرمي:

بلطف شعرك مصطفى لطفي غدا نظم ابن قيس حائراً أعلى الرتب
فلأنت أعظم ناثراً ومقرظ في عصرنا عصر السياسة والأدب
حسب ابن قيس شاهد تقريظكم فليبتهج وله الفخار ولا عجب
ولك الشهادة من بروني أتى من مغرب فاقبل بفضل ما كتب

(١) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني - في المهجر، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٣) يوسف بن يعقوب المعولي، سليمان باشا الباروني وآراؤه في الإصلاح السياسي والفكري، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦م، ص ١٨١.

ونلمس من القصيدة مدى إعجاب الباروني بشعر المنفلوطي؛ حتى أنه اختاره لتقريض ديوان الحضرمي، وهذا دليل على وجود علاقة قوية بينهما، وكذلك في القصيدة دليل على احتكار الباروني، ومشاركته في الحياة السياسية والأدبية في مصر^(١).

وكتب الباروني تقريرًا لكتاب الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا مملوءة بعبارات الثناء التي تنبئ عن صلة وطيدة بين العلمين، لا يمكن أن نعتبرها مجرد تعارف عابر^(٢).

(٧) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش من الشخصيات المؤثرة في الحياة الاجتماعية في مصر، فقد كانت له علاقات واسعة وكبيرة، وارتبط بصلات حميمة مع كبار العلماء؛ أمثال: الشيخ حسن البناء، والشيخ أحمد الباقوري وزير الأوقاف، والشيخ محب الدين الخطيب صاحب المطبعة السلفية، ورئيس تحرير جريدتي الفتح والزهراء، والشيخ الأزهري، والشيخ علي سرور الزنكلوني، والشيخ محمد الخضر حسين التونسي شيخ جامع الأزهر، والشيخ الداعية محمد رشيد رضا صاحب المنار^(٣)، وحمد حسين الذهبي الذي سلمه نسخة من تفسير هود بن محكم الهواري،

(١) يوسف بن يعقوب المعولي، سليمان باشا الباروني وآراؤه في الإصلاح السياسي والفكري، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦م، ص ١٨٣.

(٢) انظر: الشيباني، أنوار من قبسات البدر الزاهر، ص ٣٧٤.

(٣) يوجد عدد من علماء الإباضية لهم علاقة وطيدة معه - د. إسماعيل بن صالح الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، مكتب الإفتاء،

فاعتمدها الذهبي فيما كتب عن التفسير عند الإباضية، وخير الدين الزركلي، وأحمد زكي، ومفتي القدس الشيخ أمين الحسيني، واشتهر بينهم برحابة صدره إذا نوقش، ورسوخ قدمه في مجال الشريعة وإخلاصه في عمله رغم كبر سنه^(١).

وقد اكتسب أكثر هذه العلاقات عندما كان يعمل في دار الكتب المصرية التي كانت تعج بالعلماء والمثقفين ورجال الفكر والأدب، وكانت له مع بعضهم مناقشات حامية حول العقيدة والفقه والتاريخ وقضايا اللغة وغيرها^(٢)، وفي اعتقادي أن هذه الحوارات كان لها دورٌ كبيرٌ في إعطاء أبي إسحاق مكانة عالية في قلوب المصريين، ولما كان ما يخرج منه من أعذب الكلام، فقد أزاح الكثير من المعلومات الخاطئة عن المذهب ورجاله، فظهرت سعة علمه وفقهه المتعدد في مختلف المذاهب، وقد كان بإمكانه أن يحصل على وظيفة سامية تضمن له العيش الكريم وتوفر له قدرا من الرخاء ورغد العيش، لو قبل الجنسية المصرية التي عرضت عليه^(٣).

يقول الداعية الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب: هبط صديقنا الأستاذ العلامة الشيخ إبراهيم أطفيش وادي النيل مهاجراً إليها من وطنه الجزائر من قبل أن يولد الفتاح، واكتسبنا صداقته من السنة الأولى التي اتخذ فيها الوطن المصري وطناً ثانياً له، فكنا

(١) انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم أطفيش، ٢٥؛ والوقف الجربي، ص ١٠٦.

(٢) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم أطفيش، ٣٠.

(٣) المرجع السابق، ٣١.

نحن وجميع أفاضل المصريين نعجب بصدقه وصلابة دينه واستعداده للمشاركة في كل خير، فما قامت لخير الإسلام جماعة من ذلك الحين، ولا أرسل المنادون إلى الفلاح صوته في أمر؛ إلا كان أبو إسحاق اطفيش في مقدمة المعينين على ذلك، ومقالاته المتعددة في هذه الصحيفة (الفتح) وفي أختها الزهراء؛ شاهد على فضله، ودليل على حسن بلائه في سبيل وحدة المسلمين، جزاه الله خيراً^(١).

وكانت بين أبي إسحاق وعلماء مصر علاقة متينة وهدايا متبادلة، فالهدية لغة المحبة، ورمز الود، وجسر الروح، فلها أثر عميق في القلوب، يقول أبو إسحاق: «أهدى إلينا أحد أجلة العلماء، وكبير من جهاذة الأزهر رسالة مهمة من أحسن ما كتب في بعثة الرسب وطرق السعادة وحكمة إنزال الكتب، والحق أنها من أنفس ما خطته يراعة كاتب في هذه المواضع... وقد سلك المؤلف في منهج بحثه أسمى مسلك فلسفي، مجرد من التقليد، وأبدع في استنتاجه بما لا يطيق المنكرون تفنيده»^(٢).

وجريدة المنهاج كانت ترصد ما يحدث في المجتمع، وتشارك المصريين في أخبارهم، فمثلاً تذكر مقالا بعنوان: بعثة المصريين إلى مكة والمدينة^(٣)، وفي مكان آخر تعلن المجلة عن

(١) المرجع السابق، ص ٥.

(٢) إبراهيم اطفيش الجزائري، المنهاج، مكتبة الضامري، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١١٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٩١٤.

المحاضرات التي تقام في المساجد والجوامع التي تشرف عليها جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، وجمعية الهداية الإسلامية وحاضراتها^(١)، وتشارك المجلة حزنها على وفاة سعد زغلول، فحبرت كلمات حزينة لفقده^(٢)، وبين صفحاتها خلدت ذكر زيارة ملك مصر إلى أوروبا، ووصفت استقباله هناك^(٣)، وتسطر أيضا مقالاً بعنوان فاتح مصر وبطل أجنادين - عمرو بن العاص السهمي، وهو عبارة عن محاضرة ألقاها الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار في نادي الشبان بالقاهرة^(٤)، ومما كتبه في المنهاج مقالاً بعنوان (خلاصة حكم هيئة كبار العلماء في قضية كتاب الإسلام وأصول الحكم)، وهو عبارة عن قرار نتج عن شيخ الأزهر بعد مناقشة هذا الكتاب لمؤلفه علي عبد الرازق أحد علماء الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة؛ حيث حكموا عليه بإخراجه من زمرة العلماء بإجماع أربعة وعشرين عالماً^(٥).

ويقول أبو إسحاق عن شوقي بعدما ذكر قصيدته في المنهاج؛ وهي قصيدة قالها شوقي قبل شهر من نشرها في مجلته؛ حيث ألقاها في احتفال الشبيبة الدمشقية به بعنوان: (لولا دمشق لما كانت طليطلة قدم لها) بقوله: «من ذا الذي لا يعرف من الأدباء

(١) المرجع السابق، ص ٩٦٣ - ٩٦٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٤٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٩٥١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ١٥١ إلى ١٦٣.

شوقي بك، ومن الذي يجهل شعره منهم ومكانته في الشعر، وقد صار حقا حامل الراية وأمير الشعراء، والممتاز بدقته وجزالته وحسن سبكه وطلاوته»^(١).

وأبو إسحاق كان من أكثر أعلام الإباضية احتكاكا بالسيد رشيد رضا، وأوسعهم علاقة به، وإذا كان السيد رشيد رضا قد استكشف البيت الإباضي بمفتاح الشماخي؛ فإن أبا إسحاق كان رب البيت المضيف الذي بسط بين يدي ضيفه ذخائر الفكر الإباضي ونفائس مكنونه^(٢).

وسأذكر نماذج من العلاقات المتينة التي جمعت أبا إسحاق بمحمد رشيد رضا.

(١) أرسل محمد رشيد رضا كتابه (الوحي المحمدي) إلى أبي إسحاق، وسجل أبو إسحاق تقریظا سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ومما جاء فيه: «أجل كتاب في علوم القرآن، وأفخم سفر في جلال القرآن، ومعجزة من معجزات القرآن: كتاب الوحي المحمدي... إن الوحي المحمدي علم وفق الله إليه مؤلفه العلامة الجليل السيد رشيد رضا علم مستخرج من كتاب الله العزيز...»^(٣).

وقد أثبت محمد رشيد رضا هذا التقریظ في مجلته المنار، وصدره بقوله: «بقلم الأستاذ العلامة المتكلم الفقيه الكاتب النظار

(١) المنهاج، ص ١٨١.

(٢) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ٣٧٥.

(٣) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

إبراهيم اطفيش الميزابي الجزائري»^(١) هذه الأوصاف دالة على عمق المعرفة، ورسوخ التعارف بين الرجلين مع جزيل الشناء والاعتراف بالفضل المتبادل بينهما.

(٢) حبر محمد رشيد رضا في مجلته المنار سنة ١٣٤٤هـ تقارير لثلاث إصدارات، طبعها أبو إسحاق؛ وهي:

أ - التقرير الأول: لكتاب (الدعاية إلى سبيل المؤمنين) مما جاء في تقريره: «الأستاذ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم آل يوسف اطفيش الجزائري؛ من علماء المسلمين المعاصرين الذين يلقبهم المنار بحزب الإصلاح المعتدل، أي الذين يدعون إلى الجمع بين هداية الدين الحق اعتقاداً وأدباً وعملاً، وبين ما يتفق معها من مدينة العصر.... وإن كتاب الدعاية إلى سبيل المؤمنين هو أول أثر من آثار هذا الأستاذ الغيور في هذا الجهاد، أبرزته المطابع لنا بعد هجرته إلى مصر وإلقائه عصا السير فيها،.... وقد لخص صديقنا المؤلف مسائل تلك الرسالة...»^(٢).

ب - التقرير الثاني لكتاب (الذهب الخالص المنوّه بالعلم القالص)^(٣) بتحقيق أبي إسحاق، وقال فيه: كتاب في أصول الإيمان والإسلام من العقائد والعبادات والآداب، من تصانيف أكبر علماء الإباضية وأشهرهم في هذا العصر، الشيخ محمد بن

(١) المنار مج ٣٥ ص ٥٨ العدد ربيع الأول ١٣٥٤هـ/ يوليو ١٩٣٥م.

(٢) المنار مج ٢٦ ص ٥٥٩ العدد بتاريخ جمادى الآخر ١٣٤٤هـ/ يناير ١٩٢٦م.

(٣) لمؤلفه قطب الأمة امحمد بن يوسف اطفيش الجزائري.

يوسف اطفيش الجزائري رحمته الله، وقد طبعه في العام الماضي وعلق عليه بعض الحواشي: تلميذه وحفيد أخيه الأستاذ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش؛ صاحب كتاب «الدعاية إلى سبيل المؤمنين»^(١).

ج - التقريظ الثالث: لمجلة (المنهاج) التي يحررها أبو إسحاق؛ ونصه: «مجلة علمية أدبية إسلامية لمنشئها الأستاذ الشيخ أبي إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري نزيل مصر، وقد صدر منها جزآن حافلان بالمسائل الدينية والأدبية والتاريخية... وإذا كان منشئ هذه المجلة من كبار علماء الإباضية وخليفة أشهر علمائهم في هذا العصر علما وبيتا؛ فالمرجو أن تكون مجلته من أسباب التأليف والوحدة بينهم وبين أهل السنة والشيعة»^(٢).

(٣) كتب أبو إسحاق تقریظاً لتفسير المنار ونشره في مجلته (المنهاج)، وبعض ما جاء فيه: «... وتفسير المنار من أسمى التفاسير وأوفرها ثروة... وليس السيد مفسر المنار ممن يحشر ما هبَّ ودبَّ ويجمع ما يملأ الأوراق... ولكن لا يجوز لأحد من أهل العلم أن يشتد على مخالفه في النظر والمذهب،.... ونرجو الله أن يمد في عمر المفسر حتى يتم تفسير القرآن الكريم؛ الذي هو من أنشودة الأمة الإسلامية اليوم ومناها»^(٣).

(١) المنار مج ٢٦ ص ٦٤٠ العدد بتاريخ رجب ١٣٤٤هـ / فبراير ١٩٢٦م.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٤٠

(٣) المنار مج ٣٢/ص ١٠٩ - ١١١ العدد الصادر بتاريخ شوال ١٣٥٠هـ / فبراير ١٩٣٢م.

ويقول السيد رشيد رضا معقبا عليه: «نشكر للأستاذ العلامة صاحب المنهاج تقريظه العلمي الاستقلالي، وكذا نقده المذهبي... أما شدتنا في الرد عليهم فهو دون شدة غلاتهم في الرد على أهل الإثبات وسلف الأمة، فهم قد يكفرون مخالفهم في صفة العلو ولو بطريق اللزوم، ونحن نخطئهم ولا نكفرهم، وسنتوخى اللين في ذلك - إن شاء الله تعالى -»^(١).

ولك أن تتأمل أخي القارئ في الكلمات المتبادلة بينهم لتدرك عمق هذا التواصل النادر بينهم، وأجمل شهادة نختم بها صور التواصل بين أبي إسحاق ورشيد رضا، هذه الكلمات التي سطرها أبو إسحاق في رسالة لصديقه العزيز أبي اليقظان، عقب وفاة السيد محمد رشيد رضا، قال فيها: «وقد توفي بالأمس أعظم عالم بمصر؛ الشيخ رشيد رضا، وخسرت أكبر صديق يفهمني وأفهمه في الدين والسياسة الإسلامية، وكانت وفاته خسارة لا تعوض، فكم كان حزني شديدا»^(٢).

ومن الأسباب التي ساعدت أبا إسحاق على الاندماج بين مخالفيه سعة صدره وتسامحه مع المخالفين، فقد «قام بتدريس شرح صحيح الربيع بن حبيب، ثم تلاه بتدريس فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢)، واستمر في تدريس هذا الكتاب لمدة خمسة عشر عاما، وألقى هذه

(١) المرجع السابق، ص ١١١.

(٢) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ٣٨٥.

الدروس على الطلبة الإباضية تحديداً، وكذلك قام بشرح مغني اللبيب لابن هشام (ت: ٧٦١)، وشرح كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني (ت: ٤٧١)، وشرح كتاب النوادر المعروفة بكتاب الأمالي لأبي علي القالي (ت: ٣٥٦)»^(١).

هذه الصلة الوثيقة بين الإباضية وغيرهم لم تأت من فراغ، فهي مبنية على قاعدة مشهورة لديهم (المعرفة والتعارف والاعتراف)؛ «إذا بالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات، وبالاعتراف يتقبل كل واحد منهم مسلك الآخر برضا، ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه»^(٢)، وقد آتت هذه القاعدة ثمارها في مصر، فمدت جسور المودة بين الإباضية وغيرها من المذاهب، فتحقق انسجام كبير بينهم، وذاب التعصب، فظهر تعاون مثمر بينهم^(٣).

(١) الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص ٩٣.

(٢) علي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، مقدمة المؤلف.

(٣) انظر: الوقف الجربي، ص ١٦٦.

المبحث الرابع



دور الإباضية في التنمية الثقافية

مثلت الثقافة دورًا مهمًا في بناء الحضارات؛ لأن الثقافة لها دون شك تأثير في عملية التنمية في مختلف المجتمعات.

ومنظومة الفكر الإباضية تضم كنزا وفيرا من الثقافة والأدب، كانت نتاجًا للمشاعر والأحاسيس التي تدور في وجدانهم، وكما يقول سماحة الشيخ الخليلي: «وإذا كان الأدب مرآة تعكس ما في نفس الأديب من كوامن الأحاسيس؛ فإن الأدب الإباضي - قديمه وحديثه - طافح بعصارات مشاعر الألم الذي يحسون به بسبب تشتت الأمة وانحلال عقد نظامها»^(١)، والنتاج من الأدب والفكر العظيم الذي تضمنه سطورهم وأقلامهم مستمد من العناصر التي كونت الأدب لديهم، فلديهم: «عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث، وتحمس شديد لها تهون بجانبه الأرواح والأموال، وصراحة في القول العمل لا تخشى بأسا، ولا ترهب أحدا، وديمقراطية حقة لا ترى الأمير إلا كأحدهم، ولا العظيم إلا خادهم»^(٢).

(١) الخليلي، الحق الدامغ، ص ١٩.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، ط: ١٤٢٥هـ، ج ٣، ص ٢٤٤.

هذه العوامل هي من كانت توجه الإباضية في مصر منذ عهدهم الأول في شتى المجالات، ومنها مجال التأليف، فأقدم مؤلف كتبه الإباضيون في شمال إفريقيا^(١) كان في مصر، وهو (كتاب التوحيد) لمؤلفه عيسى بن علقمة، وهو من متكلمي الإباضية في مصر في القرن الثاني^(٢).

وظل الإباضية يمارسون نشاطهم الثقافي عبر مسيرتهم في مصر من خلال خلق العلم التي يقوم بها العلماء، ومحاورة من حولهم كما ذكرنا ذلك في الأوراق المنصرمة، ونشر كتبهم وأفكارهم بين المجتمع.

ومن المعالم الثقافية للإباضية في مصر الوكالات^(٣) التي قامت بدور بارز في الحركة العلمية، وأصبحت مقرًا للتعليم والتعليم ومأوى للطلاب «ومن وكالات مصر: وكالة الجاموس، أو وكالة المغاربة، أو وكالة البحار، أو وكالة طولون، وكلها تسميات

(١) أم تش كاسترس - بيلوغرافيا الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - سلطنة عُمان، ط ١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م، ج ١ ص ٦١.

(٢) انظر: الشماخي، السير، ج ١ ص ١١٢؛ السيابي، العقود الفضية، ص ١٤٧، ١٨٤؛ ومحمد رجب، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٨٤؛ وطلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، ص ١٣٣؛ والخليلي، أماكن انتشار الإباضية، ص ١٤.

(٣) الوكالة: مصطلح مرادف في معناه للفندق أو الخان، شاع استعماله في مصر خاصة للمكان الذي يكون مأوى للتجار المسافرين ومخزنًا لبضاعتهم. الشيباني، عمرو النامي، ص ٧٦.

لدار قرب جامع أحمد بن طولون^(١) بالقاهرة، وكانت مسكنا للإباضية المغاربة (الجربيين منهم خاصة)، الوافدين إلى مصر، ومخزنا لسلعهم وتعدت دورها التجاري إلى دور ثقافي بارز، إذ أصبحت مأوى لطلبة العلم ومقرا للكتب الموقوفة عليهم^(٢).

ومن أبرز الوكالات التي قامت بدور ملموس في خدمة الثقافة الإباضية وكالة الجاموس، التي قام بتأسيسها الحاج عبد العزيز بن منصور بن عبد العزيز البحار، وهو من أوائل التجار الإباضية المتجهين من جزيرة جربة إلى القاهرة، واستقروا مع عائلاتهم في محيط طولون، فكانت تعرف في عهده بوكالة البحار، ثم اشتهرت بوكالة الجاموس^{(٣)(٤)}.

وقد تعاقب على الوكالة عدد من العلماء منذ نشأتها أثروا الحياة العلمية والثقافية في مصر، منهم الشيخ محمد بن عمر بن أبي ستة القصبي السدويكشي المشهور بالمحشي الذي استقر بالوكالة طالبا ثم مدرسا وذاع صيته بمصر؛ حيث إنه قلما قرأ كتابا

(١) جامع أحمد بن طولون: هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر، قال ابن عبد ظاهر: وهو مكان مشهور بإجابة الدعاء وابتدأ في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس بن طولون. السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، ص ١٩١.

(٢) تعليق الشيباني على كتاب اللعة المرضية، ص ٥٧.

(٣) أحمد مصلح، الوقف الجربي في مصر، ص ٥٠ - ٥٢.

(٤) لمعرفة دورها بشكل أكثر راجع كتاب الوقف الجربي في مصر للأستاذ أحمد بن مهني بن سعيد مصلح.

إلا وكتب عليه ما تيسر من التعليق^(١)، ويذكر أنه تولى رئاسة البعثة العلمية بمصر^(٢)، وغيره من العلماء ذكرت بعضهم في الفصل الأول مطلب طالب العلم.

وتضم هذه الوكالة عددًا من الكتب ساعدت في تكوين علماء ومفكرين، هذه الكتب أكثرها من تأليف الإباضية، وبعضها من غيرهم، وقد اطلعت على فهرسة المخطوطات الموجودة في مكتبة الشيخ أحمد الخليلي التي تضم جزءًا كبيرًا من المخطوطات التي كانت في مصر لمالكها الشيخ أبي إسحاق، أغلب هذه المخطوطات كتب عليها (وقف لله تعالى على طلبة العلم بوكالة الجاموس)، وبعضها كتب عليها (وقف الحاج محمد البحار على طلبة العلم)، وبعضها (ويقبض هذا الكتاب أصحابنا الحجاج في مكة ليقضوا أصحابنا بمصر)، ويبدو أن مرسل هذا الكتاب من عُمان كما يتبين من اسمه، لا شك أن هذه المكتبة كانت رافدًا قويًا من روافد الثقافة في مصر بالنسبة للإباضية وغيرهم^(٣).

ولقد أسهم إباضية مصر في إغناء الحياة الثقافية في مصر من

(١) أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص ٥٩.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٣؛ أحمد مصلح، الوقف الجربي، ص ١٣٣.

(٣) راجع مذكرة بخط اليد بعنوان (فهرس مخطوطات مكتبة الشيخ أحمد الخليلي) في مكتبة الشيخ حمود بن حميد الصوافي، سناو - المضبيبي - سلطنة عُمان.

خلال تأسيس مطابع وجرائد ومجلات تنشر بين أطراف المصريين متضمنة مقالات فكرية وثقافية تعالج الكثير من القضايا والتساؤلات التي تحيط بالمجتمع المصري، وممن لهم دور بارز في هذا المجال:

(١) قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان الشماخي (ت: ق ١٤٤هـ/ ٢٠م)، شارك في توعية الجالية الإباضية بمصر من خلال كتاباته في مجلته (نبراس المشاركة والمغاربة)^(١)، وهي مجلة فكرية علمية تصدر ثلاث مرات شهرياً، وتطبع بمطبعة المنارة بالقاهرة، وذلك بالتعاون مع صديقه مصطفى إسماعيل المصري؛ حيث كان سبباً في اعتناقه المذهب الإباضي، وكان مقرراً لها أن توزع في إسطنبول وسائر الإمارات العثمانية، والدول العربية، مع زنجبار والهند وأوروبا، كان عددها الأول في ١٧ جمادى الأولى ١٣٢٢هـ/ ٣ يوليو ١٩٠٤م، ثم واجهت مضايقات ومشكلات، وكان آخر صدور لها في محرم ١٣٢٤هـ/ فبراير ١٩٠٦م، وقد اطلع عليها نور الدين السالمي وأثنى عليها، وهو ممن ساند الإمام محمد عبده في حركته الفكرية^(٢).

(١) خرج الكتاب مطبوعاً عام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، الناشرون جامعة نزوى - مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية - مركز ذاكرة عُمان، مسقط - سلطنة عُمان.

(٢) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٤ ص ٧٢١؛ والشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ١٧١، ١٧٢؛ ومصلح، الوقف الجربي، ص ٦٤.

هو وصديقه مصطفى إسماعيل المصري يكوّنان ثنائيا مندفعاً في كفاح الأباطيل والخرفات والبدع بقوة وعزم، فكانت لهما مقالات رنانة متآزرة في الصحف، وكتب متأخية في نصرة الحق، من غير المحاضرات والمناقشات التي كانا يقومان بها في النوادي والمجتمعات^(١).

قال عنه الشيخ علي يحيى معمر: «وكان من العمالقة الذين أنجبتهم يفرن في أواخر العصر التركي: العلامة قاسم بن سعيد الشماخي، نزيل مصر، وقد كون هذا العلامة رجة في مصر شغلت أرباب الفكر والعلم والأدب ردحا من الزمن»^(٢).

(٢) الشيخ محمد بن يوسف الباروني، سافر لطلب العلم بالأزهر، ثم تصدى للتدريس بالوكالة، وهو مؤسس المطبعة البارونية بمعية سليمان بن مسعود المجدلي، وعاشا بمصر، وقد نشرت المكتبة عددا من كنوز التراث الإباضي، وامتد نشاطها لعدة سنوات، فقد وفرت مصادر الإباضية في البيئة المصرية، ومن الكتب التي تم طباعتها فيها كتاب الإيضاح وحاشيته^(٣).

(٣) الشيخ سليمان باشا الباروني هو الذي أسس بمصر مطبعة

(١) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ١٦١.

(٢) معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص ٤٢٦.

(٣) انظر: مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٤ ص ٨٣٢، ٨٣٣؛ ومصلح، الوقف الجربي، ص ٦٥، ١٠٣، ١٤٩.

الأزهار البارونية سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م^(١)، وكان لهذه المطبعة دورٌ ثقافيٌّ لا ينكره جاحد، فقد قامت بطباعة العديد من الكتب الثمينة، وهي ديوان السيف النقاد، وكتاب وفاء الضمانة بأداء الأمانة، وكتاب الأمالي والذيل والنوادر للبغدادى، وحاشية الإمام السالمى على مسند الإمام الربيع، وديوان القلائد الدرية للشيخ التندميرتي^(٢)، وأصدر البارونى صحيفته «الأسد الإسلامى» التى بث فيها آراءه، وسعى إلى إعطاء صورة للإباضية أكثر وضوحاً فى المجتمع المصرى^(٣)، وكان يطبعها فى مطبعة الأزهار البارونية، وقد صدر منها ثلاثة أعداد^(٤)، وقد تأسست عام ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، فنالها ما نال الجرائد الوطنية الحرة من الإرهاق والتضييق والتعطيل^(٥).

وأما جريدة الأسد التى كانت مظهرًا من مظاهر سياسته وطموحه إلى المعالي والعوالى^(٦)؛ ظل يواصل إصدارها وإدارة

(١) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان البارونى - فى المهجر، تخرج فى كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص ٤٦؛ ومصلح، الوقف الجربى، ص ٦٥.

(٢) سليمان البارونى، صفحات خالدة من الجهاد، ص ٢٧؛ ومحمد شعبان، حياة الشيخ سليمان البارونى - فى المهجر، بحث تخرج فى كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م، ص ٤٦؛ ومصلح، الوقف الجربى، ص ١٠٣.

(٣) النامى، دراسات عن الإباضية، ص ٣٨.

(٤) يوسف بن يعقوب المعولى، سليمان باشا البارونى وآراؤه فى الإصلاح السياسى والفكرى، بحث تخرج فى كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦م، ص ١٨١.

(٥) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٤٢٩.

(٦) سليمان باشا البارونى، الأزهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية، دار

سياستها بتوجيه حسن ودقة ومهارة بالغة حتى امتدت أصابع النفوذ العثماني إليها فأمرت بمصادرة أعدادها، وإيقاف صدورها^(١).

يقول محمد إبراهيم لطفي المصري عنه: «لقد كان سليمان الباروني أمة مجتمعة في جسد واحد، وقوة عظيمة أوجدها الله وهياها للزعامة في أمة كانت أحوج ما تكون إلى مثله^(٢)»، أتى هذا الجهد كله بعد أن اضطر لإغماد السيف؛ أصبح من واجبه إشهار القلم.

(٤) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش من الشخصيات المؤثرة في الحياة الفكرية الثقافية في مصر، اتسع نطاق تأثيره على مختلف الأطياف، فقد واصل النشاطات التي بدأها الباروني في مصر^(٣)، كان يدرك تمام الإدراك أن وجوده في القاهرة ذو فائدة عظيمة، فيتحمل في سبيل بقائه بها ضنك العيش، وثقل المسؤولية، ووجوده أفاد القضية الجزائرية إفادة كبرى، فقد كان يقف للمؤامرات الاستعمارية بالمرصاد كشفًا وفضحًا، لا يكتفي بما يكتبه هو بقلمه؛ بل كان يستنهض أشهر الأقلام المصرية؛ أمثال: أحمد زكي باشا، وعبد الرحمن الرافعي، والشيخ رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، ومحمد طاهر^(٤).

(١) الباروني، الأزهار الرياضية، ص ١٠.

(٢) الباروني، الأزهار الرياضية، ص ٢١.

(٣) النامي، دراسات عن الإباضية، ص ٣٨.

(٤) انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ٥٦.

كان أبو إسحاق مولعا بالصحافة بشكل غريب جدا، فيقول عنها إنها: «رسول السلام، ونذير امتشاق الحسام، ووسيلة التعارف بين الشعوب والحكومات، وأكبر عامل في النهضة العلمية والاقتصادية والسياسية وتجديد القوميات»^(١)، ويقول عنها في إحدى رسائله: «لست أرى خيرا في أمة لا صحافة لها ولو أدبية، إن الصحافة هي سلاح الأمة، وقوة تعزز بها، ولسان يعبر عن كمالها، ومرشد لها إلى مناهج الحياة رغم الجمود وأهله»^(٢).

ولذلك سعى أبو إسحاق لترجمة هذه الكلمات من خلال مقالاته في الجرائد التي كانت جريئة ونارية ووصفت بالسرطان؛ لأنه ما اتصل بجريدة إلا عطلتها الحكومة^(٣).

وفوق ذلك قام بتأسيس «مجلة المنهاج»، فهي تعتبر من أبرز آثاره وتعد من أحد المجلات المهمة؛ لما كانت تمتاز به من روح إسلامية قوية صامدة في وجه أعداء الإسلام، فقد أصدرها بالقاهرة بعد سنتين من نفيه من طرف السلطات الاستعمارية، وهي بذلك تعد رد فعل قوي للتعسف الاستعماري^(٤)، كان إصدارها بين سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٤م - ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م^(٥).

-
- (١) انظر: المنهاج، ج ١ ص ٢؛ ومحمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ١٢١.
 (٢) انظر: من رسالة أبي إسحاق إلى صديقه أبي اليقظان. انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ٢٠١ - ٢٠٢.
 (٣) الوقف الجربي، ص ١٠٦.
 (٤) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ١٢١.
 (٥) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ١ ص ٤٥.

مجلة المنهاج لاقت ترحيباً كبيراً من مختلف الأطياف من الإباضية أو غيرهم، فيقول سليمان باشا الباروني عندما تسلم مجلة المنهاج بعد ثناء عذب للمجلة قال: «وما أدري أنني تناولت لؤلؤة كانت مكنونة في صدف الصدور، أم خلاصة تبر من كنوز أفئدة بالحكم تفور، تناولتها والعين تذرف، والجوانح ترفرف، واللسان نشوان من خمرة الطرب... وإياك ثم إياك الشوق إلى التلاق؛ فالرجال ذو الثبات والعزم والصلابة والحزم، وما اللين والسبات إلا من نعوت بعض المخدرات.. ما غربت أبا إسحاق إلا لأنك الحر اللبيب، فاقبل ذلك بصدر رحب، ولا تقل: إني غريب؛ فإن الأرض كلها وطر للأحرار والمؤمنين، وأما رياض السماء فمسرح خاص لأرواح المخلصين، بيد أنك نزلت كنانة الله في أرضه (مصر) بين علماء وأقطاب عظام، فاسبح في أنهار معارفهم، واجنِ الجواهر النفيسة من لجج بحارهم، واقتبس من أنوار سياستهم النافعة، وتزود بما طاب من وطنيتهم الذائعة، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً...»^(١).

ويقول الشيخ علي سرور الزنكلزني من علماء الأزهر المرموقين: «ولقد سرنا أيها الأستاذ هذا النبأ العظيم، وكلنا على استعداد تام لاستقبال (منهاجكم) وخدمته وتقديره بقدر ما نعلمه فيك من فضل، من طول عشتك وكثرة الحديث معك في الشؤون العلمية المختلفة، واستطلاع مؤلفاتك القيمة ومثابرتك على طلب

(١) أبو إسحاق، المنهاج، ج ١ ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

العلا في غربتك القاسية، واحتمالك من الشدائد ما لا يحتمله إلا العظماء وأفذاذ الرجال، حتى أصبح جهادك في سبيل الله من صفاتك اللازمة ومميزاتك البارزة»^(١)، كلمات تؤكد قوة العلاقة الحميمة بينهم.

المتتبع لمجلة المنهاج يدرك أن مقالاتها تلامس الشعب المصري، وتعبر عما يدور في وجدانه، فبعض المقالات تجسد قوة بلادهم، وأحيانا تذكرهم بعلمائهم، نجد بين سطور المجلة مقالاً بعنوان «تأريخ الشيخ محمد عبده» ومما ذكره أبو إسحاق: «الشيخ محمد عبده علامة مصر، وركن النهضة الشرقية في هذا العصر، وهو أشهر من نار على علم، جمع له العلامة السيد رشيد رضا منشآتة القيمة في هذا الجزء، ففيها تتجلى مكانته حكيم الشرق...، وتبدو مقدراته الإصلاحية ودفاعه عن الدين، وغايته السامية التي حل بها في أعماق القلوب»^(٢).

وكذلك بعض التقارير الموجودة فيها هي متابعة لما يجري على الساحة في مصر، ومنها مقال عن الأزهر الشريف، وهو عبارة عن مقدمة تعريفية عن الأزهر ومكانته، ثم أورد أسئلة وأجوبة، «لا شك أن الأزهر اليوم أكبر جامعة بالعالم الإسلامي أجمع، وليس في قطر من الأقطار الإسلامية مسجد أو جامعة تضم بين جوانحها بضعة آلاف عالم سوى الأزهر.... ولقد أتيح لنا

(١) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ٦.

(٢) أبو إسحاق، المنهاج، ج ٢ ص ٧٢٣.

الاجتماع بفضيلة شيخ الأزهر الجديد، فانتهزنا الفرصة لاستبانة رأيه في حال التعلم في الأزهر، وما ينويه أن يحدثه فيه...»^(١).

ولكن هذه المجلة لم يكتب لها فرصة الحياة مدة من الزمن، فقد توقفت بعد ست سنوات من إصدارها، فكتب أبو إسحاق عندما عطلت صحيفته رسالة إلى صديقه الذي يواسيه وهو أبو اليقظان، رسالة ممزوجة بالآلام العظيمة والكلمات الموجهة ومما قاله: «... واعلم أخي أن مصر اليوم تحت حكم الدكتاتورية، والصحف تضطرب أعصابها من جراء تعطيلها يوما، ولم تبق في مصر إلا التي تسبح بحمد الحكومة...»^(٢)، فالمرء يكون ضعيفا في غير موطنه، وإن قيل له إنك في بلدك الثاني، وبين عشيرتك؛ إذ يظل ضعيفا، عليه أن يتقيد بنظم تلك الدولة، فإن خالف نظامها سعى لإبعاده، وأمكن سحب وثيقة إقامته في أي وقت.

لم يقتصر دور أبي إسحاق في مجلته المنهاج فحسب؛ ففي شهر جوان من سنة ١٩٤٠م التحق بقسم التصحيح بدار الكتب المصرية، ومن المعروف أن هذا القسم لا يلتحق به إلا الراسخون في العلم، فهو يعتبر بحق مجمع فطاحل العلم والفكر والأدب، فحقق أبو إسحاق الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي منجزا منه عشرين جزءا، وصحح كتاب محمد فؤاد المعجم المفهرس

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٩٠٣ - ٩٠٤.

(٢) رسالة أبي إسحاق إلى صديقه أبي اليقظان. انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم

اطفيش، ص ٢٠١.

لألفاظ القرآن الكريم، كما شارك في تصحيح الطبعة الأخيرة من مصحف الملك^(١).

عملُ أبي إسحاق بدار الكتب المصرية أكسبه علاقات وطيدة مع الكثير من العلماء، ومنهم السيد قطب الذي كان يزوره في دار الكتب المصرية، ومن آثار هذه الجلسات والمحاورات معه؛ كتب السيد قطب مقالا رائعا يصحح الرؤية إلى الخوارج في مقال معمق بعنوان (أدب الخوارج) نشره في مجلة الشهاب المصرية عام ١٣٦٧هـ، ومن كلماته: «ومن علمائهم الأجلاء صديقنا الشيخ إبراهيم اطفيش، ولهم كتب متداولة وهم ينكرون على غيرهم أن يطلق عليهم اسم الخوارج... وهو اعتراض له وجهته، ولقد كانت لهذه التسمية ما يبررها في الماضي، فما أحوجنا أن نتناسها اليوم»^(٢).

وقد ألف الشيخ عددًا من الكتب التي كانت تطبع وتوزع في مصر، ومما كتبه بحث عن الفرق بين الإباضية والخوارج، وكان هذا البحث بطلب من الشيخ إبراهيم محمد الباقي من علماء الأزهر ونشره في كتابه «الدين والعلم الحديث»؛ حيث يقول المؤلف في كتابه: ولما كان الوقت شحيحا يضمن علي بالبحث عنهم - أي الإباضية والخوارج - والتنقيب؛ اتصلت بمن له خبرة

(١) انظر: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٢٤.

(٢) انظر: مجلة الشهاب المصرية ١١ مارس ١٩٤٨هـ، ص ٦٣، نقلته من / انظر:

محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ٥٢.

بهم، وهو زعيم طائفة منهم تسمى الإباضية، هذا الزعيم يسمى
أبا إسحاق إبراهيم اطفيش، موظفًا بدار الكتب المصرية فكفاني
مؤونة البحث^(١).

كان لوجود الشيخ أبي إسحاق في مصر أثر طيب وملاموس
في خدمة الجانب الثقافي في مصر.

وموجز القول أن الوجود الإباضي في مصر ساعد في التنمية
الثقافية من خلال عدد من الأنشطة؛ أبرزها وكالة الجاموس
والمجلات: نبراس المشاركة والمغاربة، الأسد الإسلامي، ومجلة
المنهاج، وكذلك من خلال المطابع: المطبعة البارونية، ومطبعة
الأزهار البارونية، وغيرها من الأنشطة التي كان لها دور فعال في
خدمة الجانب الثقافي.

(١) انظر: السيابي، التواصل الإباضي، ص ١٣٩ - ١٤٢

المبحث الخامس

دور الإباضية في التنمية الاقتصادية^(١)

تحدثت في الفصل السابق عن أسباب انتشار الإباضية في مصر، وذكرت أنّ من أهم الأسباب التجارة بين المشرق والمغرب بحكم موقع مصر المتميز، ففي القرن الثاني ظهرت الدولة الرستمية التي لها أبعادها ومساحتها وعلاقتها مع الدولة التي تجاورها؛ وخاصة مصر، فقد بلغت من الحضارة ما بلغته من انسجام وتآلف بين كل الأطياف التي تسكن فيها، فهذه الدولة بالتأكيد لها علاقة مع تجار إباضية مصر، وخاصة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم ١٧١هـ - ٢٠٨هـ) - ثاني الأئمة الرستميين - ، كان تاجرا بارعا، بلغت الدولة في عهده شأوا بعيدا في الحضارة، أقام علاقات تجارية وطيدة مع إفريقيا جنوب الصحراء، ومع إباضية المشرق، وله تأثير كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، فقد

(١) لم تسعفنا المصادر القديمة عن دور الإباضية الأوائل في مجال التجارة، ولكن بالتأكيد أنهم انخرطوا في مجال التجارة؛ لأنهم لم يشتغلوا بالمناصب السياسية، فتوجهوا إلى التجارة لتكون لهم مصدر رزق.

اتسعت دولته إلى حدود مصر شرقاً...^(١)، وكانت مصر على اتصال وثيق ببلاد المغرب عبر الصحراء الليبية التي تشكل معبراً لتجارة عُمان الراجعين من فزان والسودان وإباضية المغرب^(٢).

أما في القرون المتأخرة فنرى أنهم أسهموا في الحياة الاقتصادية في مصر بشكل كبير، ففي بداية القرن الثاني عشر كان من أبرز التجار الحاج أحمد بن سعيد الجملي الذي استقر بسوق طولون وتاجر في اللبن، ففتح الله عليه فحقق أرباحاً حتى بلغ رتبة فخر التجار، عقد صفقات ضخمة، فتضخم رأس ماله، وذاعت شهرته في التجارة^(٣).

وفي الفترة ١٢٠٠ - ١٢٥٠هـ كان من أهم تجار الإباضية في مصر الحاج محمد بن رمضان البحار الذي مارس التجارة بين القاهرة والإسكندرية^(٤).

مارس الجربيون في وكالتهم بيع وشراء جلود الجاموس^(٥)، ولذلك اشتهر محل إقامتهم بوكالة الجاموس، إضافة إلى بيع اللبن والأقمشة وزيت الزيتون والعقار والغلال وتجارة النسخ^(٦)،

(١) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، ج ٣ ص ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣.

(٢) صبح الأعشى، ج ٥ ص ١٦؛ نقلاً عن القادري، التواصل الحضاري بين عُمان وبلاد المغرب، ص ٥٣، ط ١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس.

(٣) أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص ٥٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٣.

(٥) وكالة الجاموس كان لها أثر عميق في التنمية الاقتصادية، فقد كان مبنى الوكالة يضم مدرسة ومكتبة ومأوى ودكاكين تجارية.

(٦) أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ١١٤ - ١٢٦.

ومن أشهر تجار البن الجربيين في مصر أحمد بن سعيد الجملي^(١)، كما تاجر إباضية مصر في الأقمشة الهندية الحريرية والصوفية والملابس القطنية، واشتهر منهم الخواجا محمد بن صالح المغربي الجربي، والحاج أحمد بن يحيى الشهير بالشرواني الجربي المتاجر بسوق طالون، والتاجر الخواجا الحاج مهني بن سعيد المغربي الجربي^(٢)، كما دخل إباضية مصر من الجربيين في مجال مربح وهي تجارة العقارات، «ولا يكاد يخلو شارع أو درب أو عطفة أو وكالة أو سوق من عقار مغربي»^(٣).

ومن خلال دراسة وثائق المغاربة في مصر - سواء بالقاهرة أم الإسكندرية - يظهر للمتفحص ضخامة رأس المال الذي يتعاملون به بيعا وشراء، فقد خلدت الوثائق أسماء بيوت تجارية مغربية كبيرة وألقاب فئة كبار التجار وأعيانهم وأكدت نفوذهم الواسع في العديد من أسواق مصر^(٤)، وخاصة سوق طولون الذي كان يعج بنشاطهم، فقد نشطوا التجارة الداخلية، وزادوا من حيويتها، فساعد على التنمية الاقتصادية في مصر.

(١) السابق، ص ١١٤.

(٢) عبد الوهاب بكر، ملاحظات على الحياة الاقتصادية في ولاية مصر من خلال القرنين ١٨ و ١٩ ص ٣٠٠؛ نقلا عن أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص ١١٦.

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المغتربة في مصر، ص ٦٩، نقلاً عن أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص ١١٩.

(٤) أحمد مهني، الوقف الجربي في مصر، ص ١١٧.

التواصل بين مصر والإباضية

- المبحث الأول: التواصل المصري مع إباضية المشرق.
- المبحث الثاني: التواصل الإباضي المصري المغربي.
- المبحث الثالث: الإباضية ومصر في الوقت الحاضر.

تمهيد

إن التلاحم بين الجماعة الواحدة من الأمور الضرورية في حياة بني البشر، فبهما تقوى العلاقات، وتساعد نفسها على الاستمرار والدوام، وتبعد نفسها عن التفرق والتشتت، ولقد كان هذا هو شأن أهل الحق والاستقامة في أغلب عصورهم، فقد كانوا يدا واحدة يجمعهم المبدأ والإيمان الصادق، مهما بعدت بينهم المسافات وقد كانت صفوفهم تحتوي على قبائل مختلفة، وأجناس متباينة، ولكنها كانت أبعد الناس عن الفرقة والتعصب، فأهل المغرب يتواصلون مع أصحابهم من الشرق، وكذلك أهل المشرق فإنهم يتواصلون مع أصحابهم من المغرب.

وسواء كان ذلك التواصل زيارات ولقاءات أو مراسلات، ولا شك أن الهدف من كل ذلك هو تبادل الأفكار، ومناقشة الأحوال واستبانة الأحكام وتبيينها إفتاء وإجابات، كما أن تبادل المؤلفات فيما بينهم كان من أهم الأشياء التي تجعل العلاقة المذهبية قوية؛ لأن أتباع المذاهب الأخرى وأصحابها انحاز كل إلى مذهبه تمسكا به، أو دافعا عنه، أو نشر له^(١)، ولقد بذل أسلاف الإباضية

(١) السيابي، التواصل الإباضي، ص ٦.

الشيء الكثير في سبيل التواصل فيما بينهم شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، متخذين من موسم الحج فرصة للقاء الأكبر والاجتماع لتبادل وجهات النظر فيما يهمهم ويعنيهم، وكم من قضايا نوقشت، وإشكالات حلت في موسم الحج^(١).

ولقد كان التواصل حاضرا بين الإباضية من مختلف الأمصار وإباضية مصر من خلال الطرق التي ذكرتها سابقا، وساعد هذا التواصل على انتشار المذهب الإباضي بين المصريين؛ حتى أصبح له علماء ورجال العديدون الذين وثقوا الصلة بين إباضية المشرق والمغرب، وكانوا همزة وصل بين الفريقين^(٢).

ولم يقتصر هذا التواصل والتلاحم بين الإباضية ومصر على الإباضية في مصر، بل تعدى ليشمل مختلف الشخصيات، «فالإباضية لم يجدوا غضاضة في الإفادة من أهل العلم أيا كان مذهبهم، فالحكمة ضالة المؤمن، أئى وجدها أخذها، ولكن لا يعني هذا التأثير والاستيراد دون التصدير والذوبان دون حفظ الخصوصية، فالمقصود التفاعل لا الاندماج^(٣)».

ونجد هذا التواصل من الجانبين منذ القدم، فقد قام الإمام زكريا الأنصاري الأزهري (ت: ٩٢٦) في كتابه «المقصد في تخليص ما في المرشد في الوقف والابتداء»، وهو اختصار لكتاب

(١) المرجع السابق، ص ٦.

(٢) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ٢٦٧.

(٣) الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، ص ٩٥ - ٩٦.

عُماني وهو «المرشد في الوقف والابتداء» للإمام أبي محمد الحسن بن علي العُماني (ت: ٤٣٠)، وهنا تكمن العلاقة العلمية الحميمة بين عُمان ومصر مع ما بين العالمين من بعد الشقة المكانية والزمنية^(١).

وقد كانت هناك مراسلات علمية بين الإمام محمد عبده والعلامة نور الدين السالمي^(٢)، وقد ذكر الإمام السالمي في أحد أجوبته رأي الشيخ محمد رشيد رضا بعدما قرأ قوله من مجلة المنار عندما قال: «ذكره صاحب المنار، وهي جريدة مصرية مديرها أحد تلامذة محمد عبده وهو محمد رشيد رضا»^(٣)، لك أن تنظر أخي القارئ هذه الصلة القوية في التواصل رغم ما في ذلك الزمن من صعوبة التواصل.

ويظهر من خلال العبارة التالية التواصل والانسجام بين علماء الإباضية وعلماء القوم بمصر، كل منهم يستفيد من الآخر؛ حيث ذكر الإمام السالمي في كتابه معارج الآمال: «وقال أبو ستة رَحِمَهُ اللهُ: وسألت عن هذا الحديث جماعة من مشايخ قومنا فلم أجد عندهم جواباً شافياً»^(٤)، فأبو ستة من علماء الإباضية في مصر سأل عن

(١) من ندوة «العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» ورقة قدمها الدكتور عبد الله بن سالم الهنائي (مقطع مرثي الندوة).

(٢) انظر: محمد كمال، مائة كتاب إباضي، ج ١ ص ١٢.

(٣) السالمي، جوابات الإمام السالمي، ج ٢ ص ٥٤٠.

(٤) انظر: عبد الله بن حميد السالمي، معارج الآمال، مكتبة السالمي، ٢٠١٠م، ج ٣

هذا الحديث علماء مصر من القوم واستفاد منه الإمام السالمي في عُمان.

أما السيد محمد رشيد رضا فقد ارتبط بجملة من العلماء والسياسيين والمفكرين من الإباضية^(١)، منهم: قاسم بن سعيد الشماخي، مصطفى بن إسماعيل المصري، سليمان باشا الباروني، أبو إسحاق إطفيش، أبو اليقظان إبراهيم، سليمان بن قاسم الجادوي، فيصل بن تركي، تيمور بن فيصل، يوسف الزاوي، الزبير بن علي، والإمام محمد بن عبد الله الخليلي^(٢) علاقة قوية وطيدة ربطت بينهم، فولدت الحب والإخاء والاتفاق في بعض الأفكار والآراء.

والشيخ محمد الدهان (١٣٣٥هـ/١٩١٧م) فقيه مصري من علماء الأزهر، كان مديراً للمعهد الإسلامي بزنجبار، وله مقالات في صحيفتي النهضة والفلق، ومن أعماله في التراث العُماني إشرافه على تصحيح كتاب «العقد الثمين نماذج من فتاوى نور الدين» لأبي محمد عبد الله بن حميد السالمي، وللشيخ الدهان لقاءات متعددة مع عدد من الأعلام العُمانيين في القاهرة، تبادلوا فيها وجهات النظر حول قضايا الفكر الإسلامي وسبل نشر التراث بشتى توجهاته الفكرية^(٣).

(١) لمعرفة العلاقة الحميمة التي جمعت بين الإباضية ومحمد رشيد رضا؛ راجع:

الشيبياني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ٣٥٥ - ٤٠٩.

(٢) انظر: الشيبياني، أنوار من قبسات البدر الزاهر، ص ٤٠١.

(٣) انظر: سلطان الشيبياني، الشيخ محمد الدهان، ص ١.

وقد فتحت الحياة الثقافية في مصر أبوابها لظهور المؤلفات الإباضية إلى عالم النشر، بل وأصبحت هناك مطابع خاصة؛ مثل: المطبعة البارونية، ومجلات خاصة؛ مثل: «مجلة المنهاج»، وازدانت الحياة الفقهية بظهور مؤلفات كثيرة إباضية؛ مثل: النيل للثميني، وشرح النيل لأطفيش، وشرح طلعة الشمس للسالمي، وغير ذلك من الكتب والأبحاث والمقالات^(١).

وسأذكر في الصفحات القادمة بعض صور التواصل التي جمعت بين إباضية مصر وإباضية المشرق والمغرب، فقد كانوا همزة وصل بين الفريقين.

(١) أ. د. محمد كمال، مائة كتاب إباضي، ج ٢ ص ١٣.

المبحث الأول



التواصل المصري مع إباضية المشرق

من المعلوم أن الجسر الممتد بين مصر وعُمان ليس وليد حقبة قصيرة، بل هو جسر متين، فمنذ الألف الرابع قبل الميلاد كانت مصر على صلة بأرض الجنوب من عُمان بالتحديد ظفار، وكانت تسمى «بلاد بونت»؛ أي: بلاد أشجار اللبان، وكان التواصل من أجل بعض السلع؛ مثل: البخور واللبان والمعادن والصمغ والمر والتوابل، وكان البحر الأحمر هو الوسيط بينهم، وقد سجلت النصوص الفرعونية إحدى عشر رحلة تجارية بين البلدين^(١)، وربما من أشهر الرحلات بينهما رحلة الملكة «حتشبسوت»، وسجلت هذه الرحلة في معبد الدبر البحري^(٢).

وفي عصر الإسلام ظهر الإسهام العُماني في عمليات

(١) انظر: حفيظ بن عيسى الراجحي، عُمان منذ فجر التاريخ حتى الحاضر، المصنع الوطني للطباعة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ١٦؛ مسيرة الخير، وزارة الإعلام، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٤م، ص ١٣٩؛ وندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ٧٢.

(٢) أحمد بن عبد الله العزيزي، تجارة عُمان الخارجية عبر العصور التاريخية، مركز الذاكرة للنشر والإعلام، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٤١.

الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام بصورة جلية من خلال إسهام القبائل العُمانية في فتوحات فارس والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا، وجزر البحر المتوسط^(١).

«وبعض العُمانيين رحلوا إلى مصر، ونشروا بين بعض أهلها المذهب الإباضي، واعتنقه عدد لا بأس به من المصريين، ووجد دعاة الإباضية في سكان مصر من الأزد قوة وسندا لنشاطهم المذهبي ولنشاطهم التجاري أيضاً، مما دفع بالعلاقات المذهبية والتجارية بين البلدين إلى التطور والنماء إلى حد كبير، وهياً في الوقت نفسه لمزيد من الهجرات العُمانية إلى مصر»^(٢).

وقد رجع الدكتور رجب محمد عوامل هجرت العُمانيين إلى مصر إلى عاملين، وهما: الأول: وجود عدد من الولاة والقضاة ورجال الشرطة وعمال الخراج تولوا مصر^(٣)، وكانوا من الأزد فمهدوا الطريق لأقربائهم كي يهاجروا إلى مصر، أما العامل الثاني: كان الأزد والمهرة مستقرين في الكثير من الأحياء السكنية المصرية مثل الفسطاط والجيزة والإسكندرية وغيرها مما رغم للعُمانيين الهجرة إلى مصر المحروسة^(٤).

(١) محمد قرقرش، تاريخ الإسلام في إفريقيا، ص ٤٠١.

(٢) محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١٦٥.

(٣) لمعرفة المزيد من الأزد والمهرة الذين حكموا مصر حيث أنهم أخدموا الفتن والثورات وعمرُوا البلاد، راجع: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١٧٦ - ٢٠٩.

(٤) انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ١٦٥ - ١٦٧.

وقد كان هناك تواصل كبير بين الإباضية في مصر والبصرة - مركز الإباضية -، ومنها عندما ذهب شعيب بن المعروف إلى البصرة في الرحلة الثانية لم يكن وحده، بل كان معه جملة علماء الإباضية من مصر الذين تعلموا على يد أبي عبيدة من قبل^(١)، وقد ذكرت في الفصل الأول عددًا من علماء الإباضية الذين هاجروا إلى مصر.

وفي القرن التاسع للهجرة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) نجد أن الشيخ الحاج محمد بن عبد الله السمائي ذهب إلى مصر^(٢) بالتأكيد أنه أفاد واستفاد من علماء الإباضية هناك.

وقد كان الإمام السالمي على علاقة وطيدة مع إباضية مصر، يقرأ ما كتبه من مسائل وقضايا، فأحيانًا ينقل في كتبه عن أبي ستة^(٤).

وكانت للشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت: محرم ١٣٠٢هـ) مراسلات مع الإباضية من المشرق؛ أمثال: الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، وقد ذكر رسائلهم الشيباني في كتابه^(٥).

(١) بتصرف محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ١٤٩.

(٢) بتصرف: المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٣) أحمد الشماخي، كتاب السير، ج ٢ ص ٢٠٣.

(٤) انظر: السالمي، معارج الآمال، ج ٣ ص ٢١.

(٥) انظر: ذكر نص الرسالتين الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر،

وكان الشيخ قاسم بن سعيد بن قاسم بن سليمان الشماخي (ت: ١٣٣٤هـ/١٩١٦م)، يلعب حلقة وصل بين إباضية المشرق والمغرب، وكانت مجلته وكتبه ورسائله ومقالاته هي ناطقة باسمهم ومذهبهم، وله مراسلات مع الإباضية اقتدى بوالده، فنرى مراسلاته مع مشايخ المشرق الشيخين نور الدين السالمي وعيسى بن صالح الحارثي^(١)، ومن زنجبار الشيخ سالم بن محمد الرواحي^(٢).

وقد قرأت ردًا من أبي إسحاق اطفيش على الإمام محمد بن عبد الله الخليلي كان يتضمن حث الشيخ أبي إسحاق العُمانيين على النهوض والوعي وعدم الانعزال؛ فإن التقوقع له آثاره، وبَيَّن له كيفية الوصول إلى الجامعة العربية بصوت عُمان، وما يجب فعله حتى تنهض عُمان اقتصاديا وعلميا وفكريا، وهي رسالة تبين بعد النظر في مذهب أبي إسحاق^(٣).

وللشيخ أبي إسحاق زيارتان لزنجبار؛ الأولى سنة ١٣٦٧هـ، والثانية سنة ١٣٧٥هـ، وقيل: ١٣٨٠هـ، وقد كان يلقي محاضرات في التفسير بمسجد السيد حمود^(٤)، وكان أبو إسحاق على صلة

(١) قبسات من أنوار البدر الزاهر، ص ٢٢١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٣) أنظر الرسالة بتاريخ شعبان ١٣٧٣هـ موجودة في: محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش، ص ١٩٦.

(٤) محمد بن عبد الله بن سعيد السيفي، النمر حكايات وروايات، ط ١: ١٤٣٤هـ، ج ٦ ص ٢١.

بالشيخ أحمد بن حمد الخليلي في زنجبار وأيضاً بعدما رجع الشيخ إلى مصر كانت تجمع بينهم مراسلات عميقة^(١)، وأبو إسحاق قام بدور بارز في القضية العُمانية بالجامعة العربية، وعرف سفيراً لعمان في القاهرة، وقد فصّلت ذلك عند الحديث عن الدور السياسي.

(١) السيفي، النمير، ج ٦ ص ٢٢.

المبحث الثاني



التواصل الإباضي المصري المغربي

كان التواصل بين المغرب ومصر حاضرا في كل العصور بحكم انتمائهم إلى عرب الجنوب، وبحكم أن البلدين كانا يتبعان في الغالب واليًا واحدًا، وقد ساعد على ذلك وجود العديد من الطرق التي تمر بها التجارة بين البلدين، وكانت مصر تقوم بدور الوسيط التجاري بين المشرق والمغرب، فالتواصل بين مصر والمغرب كان مستمرًا منذ أن دخل الإسلام، حتى أنه كان يطلق على مصر في بعض الأحيان أنها إحدى دول المغرب^(١).

وأما أصحابنا في المغرب فكانت علاقتهم بإباضية مصر قوية؛ لأن منزلة الإباضية في مصر العلمية رفعت من شأنهم، وأولتهم مناصب عالية في المجتمع الإباضي، فاشتهر أمرهم، وذاع صيتهم في الآفاق، ومكانتهم العلمية أهلّتهم إلى الفتيا، ورفعت من قدرهم بين خلانهم، فقد روي أن أبا ميمون ذهب إلى مصر ليسأل ابن عباد عن مسألة^(٢).

(١) انظر: رجب محمد، الإباضية في مصر والمغرب، ص ٢٩.

(٢) انظر: الشماخي، السير، ج ١ ص ١١٢.

ولقد كان إباضية المغرب عندما تشكل عليهم مسألة يرجعون إلى علمائهم الكبار في عُمان أو البصرة أو مصر فمثلاً «عندما أراد الإمام عبد الوهاب التوجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ووصل إلى نفوسة اعترضه أهلها خوفاً عليه من بني العباس لكنه لم يقنعه رأي النفوسيين، فأرسل الفتوى إلى علماء المذهب في المشرق الإمام الربيع في البصرة أو عُمان وإلى عبد الله بن عباد في مصر، فأجاب عنه كلاهما بأفضلية بقاءه في دولته وبين مواطنيه»^(١).

ووصل صيت علماء المصريين من الإباضية إلى تيهرت عاصمة الدولة الرستمية، فكان أئمتها يرسلون رسلهم وكتبهم يطلبون منهم الفتوى عندما كان ينشب بينهم خلاف فقهي أو سياسي، ومن الإباضية المصريين المشهورين الذين وصلوا إلى درجة الفتيا، وكان لهم في التاريخ الإباضي دور معروف شعيب بن المعروف، وكان لهذا العلم المصري مكانة كبيرة عند الإباضية؛ حتى أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم استفتاه إلى جانب الربيع بن حبيب عندما ثار النزاع بينه وبين يزيد بن فندين الذي لم يعطه الإمام عبد الوهاب منصباً أو ولاية^(٢).

(١) ابن سلام الإباضي، الإسلام وتاريخه من وجه نظر إباضية، دار اقرأ - بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٣١. انظر: السيابي، التواصل الإباضي، ص ٣٤.

(٢) محمد رجب، الإباضية في مصر، ص ٩٨؛ نقلاً عن الشماخي، ج ١ ص ٢٣٢.

ومن التواصل السياسي ما تذكره كتب التاريخ عن الاتهام الذي وجهه قاضي مصر إلى غوث بن سليمان الحضرمي بمكاتبة إمام الإباضية في المغرب الأدنى أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري الذي كان الوالي في مصر يزيد بن حاتم المهلبي، فوصل أمره إلى أبي جعفر المنصور فأمر بحبسه^(١)، وكان حامل الرسالة ربيعة النفوسي؛ حيث يقول أنا: حملت كتاب أبي الخطاب الإباضي من إفريقية إلى غوث، وحملت كتاب غوث إلى الإباضية^(٢).

وكذلك يذكر عمرو النامي أن أبا خزر يغلى بن زلتاف (ت: ٣٨٠هـ) الذي كان بمصر يرد على أسئلة موجهة إليه من بعض علماء الإباضية وقد جمعها في كتابه المعروف بكتاب أبي خزر يغلى بن زلتاف^(٣)، كتاب كامل هو عبارة عن أسئلة موجهة إليه من الإباضية من مختلف الأمصار.

وكانت للشيخ سعيد بك بن القاسم بن سليمان الشماخي الجربي المصري (ت: محرم ١٣٠٢هـ) مراسلات مع الإباضية من المغرب؛ أمثال: الشيخ الفقيه إبراهيم بن بكير، وقد ذكر رسائلهم الشيباني في كتابه قبسات من أنوار البدر الزاهر^(٤).

(١) انظر: محمد علي، ندوة العلاقات العُمانية المصرية، ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) انظر: محمد بن يوسف الكندي، الولاية وكتاب القضاة، ص ٣٦٢. انظر: أبو

سعيد عبد الرحمن الصدفي، تاريخ ابن يونس الصديق، ج ٢ ص ١١٠.

(٣) النامي، دراسات عن الإباضية، ص ٢٢١ - ٢٧٢.

(٤) الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر. ص ١٧٩ - ١٩١.

المبحث الثالث



الإباضية ومصر في الوقت الحاضر

انتشر المذهب الإباضي في الزمان الأول في جميع الآفاق والنواحي من عُمان إلى البصرة وخراسان ومصر وبلاد المغرب وغيرها من المناطق، ولما أراد الله تعالى أن ينفذ أمره في من شاء من الناس بسابقة القضاء؛ طوى هذا المذهب من كثير من البلاد بموت أهله وانقراض علمائه في تلك النواحي، وهذه هي سنة الله في أرضه، وبهذه السنة تستمر الحياة، فذهب هذا المذهب من مكة والبصرة وخراسان واليمن وحضرموت، وبقي في عُمان والمغرب وزنجبار ومصر، ثم انتقص من أطرافها أيضا فلم يبق إلا في النواحي اليسيرة^(١).

ويرى المؤرخ أحمد من سعود السيابي أن تقلص الفكر الإباضي في العالم - لو إنسان استقرأ التاريخ الإباضي إلى القرن الرابع الهجري، وعمل خريطة بيانية لتوزع انتشار المذهب لوجده أكثر المذاهب انتشارا، فهم كانوا في خراسان واليمن وعُمان

(١) السالمي، اللمعة المرضية، ص ٨٥، ٦٤.

وبالبحرة ومصر وبلاد المغرب - هذا الانحسار يرجع إلى أمرين مهمين:

- (١) ضعف الاهتمام بالدعوة، فتخلف أتباع المذهب الإباضي عن مهمة الدعوة جعل هذا المذهب يتراجع شيئاً فشيئاً.
- (٢) فقد الأطر العلمية، فعندما يأتي العالم يجتهد ويُعَلِّم ويُكُون مكتبة، ولكن بمجرد موته يموت كل شيء؛ حتى كتبه تتفرق وتوزع وتباع؛ لأنه لم يعمل تحت مظلة نظام مؤسسي، بعكس غيرهم^(١).

- بالإضافة إلى السببين اللذين ذكرهما الشيخ أحمد بن سعود السيابي من أسباب انحسار المذهب يمكن أن نضيف أيضاً:
- (٣) عدم وجود دولة إباضية في مصر احتضنت المذهب الإباضي، فالدولة تقوم بدور كبير في انتشار المذهب وانحساره.
- (٤) من ضمن منهج الإباضية جواز الخروج على الحاكم، هذا الأمر كان معهم في بعض الأحيان في مصر، وقاموا بثورة ضد الحاكم، فقتل بعضهم، وبالتأكيد فر بعضهم إلى مختلف المناطق.
- (٥) الفتوى التي يصدرها بعض المتشددین ضدهم واتهامهم بالخوارج؛ ضيقت عليهم ووضعتهم موضع الخطر ممن حولهم.
- (٦) استقرار الإباضية في مناطق معينة، وفقدان التواصل فيما بينهم.

(١) انظر: السيابي، الدعوة عند الإباضية، ص ٣٩ - ٨٠.

(٧) وكما هو معلوم أن من أسباب انتشار المذهب الإباضي في مصر هو الجهود التي قام بها التجار الإباضية، وعندما قلت التجارة الإباضية في مصر قلّ انتشار الإباضية.

(٨) ويكمن أن نضيف أيضا استعجالهم في إقامة الحق، فقد كلفهم قتلهم والتنكيل بهم، كما ذكرت في دورهم السياسي.

(٩) التسامح حينما يكون معتدلاً يكون إيجابياً، أما عندما يكون زائداً عن حده يكون سلبياً، فعندما تنتهي النخوة والغيرة المذهبية سينتهي كل شيء مع مرور الوقت، فلا يمكن أن غيرك يضربك وأنت تقابله بالزهور، ودائماً المعاملة بالمثل^(١).

وبرحيل أبي إسحاق مات روح الإباضية في مصر، وبقي جسداً بلا روح، ويقول الراشدي: ولا يزال بعض الإباضية موجودين بمصر إلى اليوم^(٢)، وإن كانوا حقاً موجودين إلى الآن؛ فليس لهم وجود اجتماعي منظم، وإنما على شكل أفراد يتوزعون في مختلف الأماكن.

وبقي لنا أن نسلط الضوء إلى عصرنا الحاضر وعلاقة الإباضية بمصر ولا بد لنا أولاً أن نذكر جامع الأزهر؛ لأن الأزهر له دور في الدعوة الإسلامية، فقد كان هو المقصد والقبلة العلمية لطلاب العلم كما قال الشيخ أحمد بن سعود السيابي: إن الأزهر هو المرجعية الإسلامية لجميع المسلمين من المحيط إلى الخليج

(١) السيابي، الدعوة عند الإباضية، ص ٨١.

(٢) مبارك الراشدي، الإمام أبو عبيدة، ص ٢٦٨.

منذ ألف عام تقريبا؛ من أجل ذلك قدم الأستاذ الدكتور محمد علي محمد - أستاذ التاريخ الحديث بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر - ورقة عمل بعنوان «البعثات العُمانية إلى الأزهر» في ورقته ذكر جملة من المشايخ والقضاة والأساتذة الذين درسوا بجامعة الأزهر، وأصبحت لهم مناصب مرموقة في عُمان^(١).

إن المذهب الإباضي يدرس في الأزهر؛ كظاهرة معرفية فقط، وقد ذكر الدكتور مسلم سالم في ورقته «تعد مناهج الأزهر فرقة من فرق الخوارج ضمن المقررات الدراسية»^(٢)، لقد حركت هذه المعلومة ساكني، وقد سألتُ الأستاذ الدكتور محمد الزيني عن هذه المعلومة؛ فكان مما قاله: ربما كان هذا في السابق، أما الآن فإنني أسوق لك أبشر البشائر فقد تم تغير الكثير من المعلومات عن المذهب الإباضي التي كانت تبني على كتاب المقالات، فقد أبلى مدرسو المعهد الذين درسوا في عُمان سابقا ثم ذهبوا بلادهم مصر بلاء حسنا، فظهرت بصمتهم على دكاترة الأزهر والباحثين، فذكر لي جملة من الرسائل التي كتبها الدكاترة والمدرسين من مصر عن المذهب الإباضي، ومنها كتاب «الخوارج عقيدة وفكرا وفلسفة»^(٣)؛ حيث فصل المؤلف الإباضية عن الخوارج^(٤)، فقد

(١) انظر: مقطع مرثي بعنوان: «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة».

(٢) الوهبي، الإباضية في منظومة الأزهر، ص ٧.

(٣) لمؤلفه الدكتور عامر النجار أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة السويس.

(٤) مقابلة مع الأستاذ الدكتور محمد الزيني بمكتبه في كلية العلوم الشرعية يوم الإثنين بتاريخ ٢٠/١٠/٢٠١٤م.

أدرجت الإباضية ضمن الخوارج كما أدرجت جماعة الإخوان في فترة من الفترات؛ لأنها كانت غير موالية للسلطة، «فقد تميزت في مصر في عهد الستينيات بصعود النجم الناصري، فاعتنق ملايين الشباب فكر عبد الناصر، فانبرى الكتاب المواليون للسلطة على منطلقات جماعة الإخوان وعلى منهجها، وزج بزعمائها في السجون، وأدانوا هذا الفكر الإخواني، ونسبوه إلى الخوارج»^(١).

ولتعزيز أوجه التواصل بين الإباضية ومصر قامت جامعة السلطان قابوس بإقامة ندوة بعنوان «العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة»، وكان هدف الندوة كما ذكرت صحيفة «الأهرام المصرية» ترسيخ التواصل الفكري بين سلطنة عُمان والأزهر الشريف، والتعريف بالقواسم المشتركة، وبيان دور علماء المدرستين في التأليف المقارن، وتسهم في توسيع آفاق التعاون بين عُمان والأزهر، وتعزيز صلة التقارب والوئام، وستعمل على إبراز أواصر التقارب والاشتراك بين المدرستين العُمانية والأزهرية، وأيضاً العلاقات التاريخية والفقهية والفكرية بينهما، من خلال الأوراق البحثية المقدمة للندوة^(٢).

دعا الباحث الدكتور الوهبي في الورقة التي قدمها بعنوان

(١) أ. د. محمد الزيني، شهداء الفكر، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٢) جريدة الأهرام، الكاتب: سمر نصر، ٢٠١٣/٤/١٣م رئيس التحرير أحمد السيد النجار.

«الإباضية في منظومة الأزهر» بتوصياته فيما يخص الأزهر، ومما قاله: نطمح أن تتحول نظرة قيادات الأزهر السليمة بخصوص الإباضية إلى واقع ملموس مع الدارسين والباحثين، وأن يتم تدريس المذهب الإباضي من خلال مؤلفاته، وليس من خلال ما قيل عنه، وأما ما يخص عُمان فالعمل على إيجاد كرسي للدراسات العُمانية في جامعة الأزهر، ومن مهامه توفير المساعدة في الوصول إلى معارف الإباضية بإشراف مباشر من مكتب الإفتاء^(١).

وكان من ضمن التوصيات التي خرجت بها الندوة: «وأوصت ندوة العلماء العُمانيين والأزهريين والقواسم المشتركة التي أقامتها جامعة السلطان قابوس بقاعة المؤتمرات على مدى ثلاثة أيام متواصلة بتدريس المذهب الإباضي ضمن مناهج الأزهر الشريف؛ تأكيدًا للقواسم المشتركة بين المدرستين العُمانية والأزهرية، وإنشاء كرسي السلطان قابوس للدراسات العلمية بالأزهر الشريف أسوة بالكراسي التي تنتشر في دول مختلفة، وكذلك التأكيد على اعتباره من المذاهب الإسلامية التي تشكل الأمة الإسلامية الواحدة، وتوثيق الوجود الإباضي من قبل الأزهر الشريف من حيث المخطوطات والعلماء والمؤلفات الموجودة لديهم، وقيام مشيخة الأزهر بتوجيه القائمين على سائر القنوات المصرية ذات الخطاب الإسلامي المعتدل على مشاركة علماء عُمان في

(١) انظر: الوهبي، الإباضية في منظومة الأزهر، ص ٣٣ - ٣٤.

الأحاديث والندوات والمحاضرات التي تبثها خدمة لقضايا الدين الإسلامي في عصر يموج بمختلف التيارات الفكرية»^(١).

والجهود العميقة بين الطرف الإباضي والمصري ظاهرة كالشمس في رابعة النهار، فعلى سبيل المثال ما قام به الدكتور محمد كمال إمام - أستاذ الشريعة في كلية الحقوق بجامعة الإسكندرية - فهو يشتغل الآن بإعداد موسوعة الفقه الإباضي، ومن الأعمال التي أنجزها فقد اعتنى بكتاب النيل، ومعارج الأمال، وجوابات الإمام السالمي، وكتاب الإيضاح، ومنهج الطالبين وبلاغ الراغبين، وقال الدكتور إسماعيل الأغبري: إن ذلك يدل على العيش المشترك والتجرد لخدمة تراث المسلمين دون تحيز أو تمييز.

كما قام الأستاذ الدكتور عبد الله مبروك النجار - عضو مجمع البحوث الإسلامية - بمراجعة كتاب جامع أبي الحسن البسيوي، وأشار إلى أن مصر كانت حاضنة، وأماً رؤوفا بالعُمانيين عامة، وبأتباع المذهب الإباضي خاصة^(٢).

وفي السنة الماضية كنت حاضراً في قاعة الأنشطة الطلابية

(١) انظر: مقطع مرثي الندوة وجريدة اليوم السابع، الكاتب محمد سعد، ١٦ إبريل ٢٠١٤م.

(٢) من ندوة «العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» ورقة قدمها الدكتور إسماعيل بن صالح الأغبري (مقطع مرثي الندوة).

بكلية العلوم الشرعية^(١)، فأضاف النشاط الطلابي فضيلة الشيخ الدكتور شوقي علام مفتي الديار المصرية الذي كان مدرّساً في الكلية مدة طويلة، فقد كان من ضمن كلامه أنه يرحب بطلبة الكلية للالتحاق بدورات تدريبية في مجال الفتوى، ويبيّن في معرض حديثه أنه يوجد طريقتان لهذه الفكرة؛ إما بالحضور إلى الدار، أو التعليم عن بُعد^(٢).

(١) معهد العلوم الشرعية سابقاً.

(٢) كان اللقاء بتاريخ ٦/٤/٢٠١٣م.

الخاتمة

أحمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على أن يسر عليّ الانتهاء من هذا البحث، فقد نبض حبري، وانحنى قلبي بعدما سطر أئمن المعلومات، فكونت فصولاً ومباحث ومطالب، وإن مما يبهج النفس ويشرح الصدر أن ترى البذور التي زرعتها قد أينعت ثمارها بعدما تعهدت عليها بالليل والنهار، ومن هذه الثمار والنتائج:

(١) أن الوجود الإباضي في مصر كان منذ بداية القرن الثاني الهجري، وجود عدد من العلماء الإباضية في مصر من الذين درسوا مع أبي عبيدة في البصرة، فكُونُوا مدرسة علمية.

(٢) من أسباب انتشار المذهب الإباضي في مصر: التسامح الذي يتميزون به، وطبيعة مصر، والاستبداد الذي وقع ضدهم في مختلف المناطق، ووجود الأزد في مصر الذي أضفى عليهم حماية، وموسم الحج، وتجار الإباضية، والعلماء الموجودون في مصر من الإباضية والدعوة التي قاموا بها في مصر، وطلبة العلم من الإباضية الذين رحلوا إلى مصر.

(٣) كان للإباضية في مصر تأثير في الجانب الديني والسياسي والثقافي والاجتماعي والتجاري، ومن خلال الاختلاط والانسجام مع غيرهم، والحوارات الهادفة ونشر كتبهم الدينية في أرض مصر.

(٤) لقد بذل أسلاف الإباضية الشيء الكثير في سبيل التواصل فيما بينهم - شرقا وغربا، جنوبا وشمالا - من خلال موسم الحج والرحلات والمراسلات وتبادل الهدايا، كان التواصل حاضرا بين الإباضية المصريين وإباضية البصرة وعمان واليمن وشرق إفريقيا.

(٥) انحسر المذهب الإباضي في مصر تدريجيا، ومن أهم أسباب الانحسار ضعف الدعوة، وفقد الأطر العلمية.

(٦) كان المذهب الإباضي يدرس في الأزهر كظاهرة معرفية فقط، ولكن في الوقت الحالي هناك رؤية جديدة لتدريس المذهب الإباضي ضمن مناهج الأزهر الشريف؛ تأكيداً للقواسم المشتركة بين المدرستين العُمانية والأزهرية، وإنشاء كرسي السلطان قابوس للدراسات العلمية بالأزهر الشريف.

وعلى هذا يتبين أن تاريخ الإباضية يحمل الكثير من الدروس والعبر؛ لذا يجب على أهله البحث والتنقيب عن مكنوناته ودرره من بطون الكتب ومن الواقع؛ لينجلي ما كان مستورا من الكنوز، وأن تأريخ إباضية مصر ينبغي أن يبحث بشكل أكثر عمقا بالذهاب إلى مصر حيث الوثائق والمخطوطات في دار الكتب المصرية

التي تحمل الكم الهائل من كتب الإباضية، كما يظهر لنا من البحث، وكما أوصي بإقامة ندوة علمية تشمل الباحثين والدارسين، يدور محورها حول تأريخ إباضية مصر.

وأخيرًا من الأهمية بمكان العناية بذكر تأريخ الإباضية المصريين في الكتب الحديثة؛ ليكون طلبة العلم خاصة لديهم معرفة بتأريخ رجالاتهم الأبرار.

إن الحديث عن تأريخ المذهب الإباضي في مصر حديث ذو شجون، فعند الكتابة عنه يتدفق خاطر بكل حديث عاطر، وتنسى النفس همومها، ويجيش الفؤاد بالحب والسمر، عندها يطير عقلك في ملكوت سيرتهم العطرة، ويقف العقل حيران في الكتابة عنهم؛ لما يملكون من رصيد فكري وتأريخي... وأخيرا

والله بالقبول فيها يقضي حتى أراها في غدٍ من قرضي ومنه أرجو أن يعم نفعها كل الوري وأن يتم صنْعُها^(١)

﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

علي بن سالم بن علي الشلي

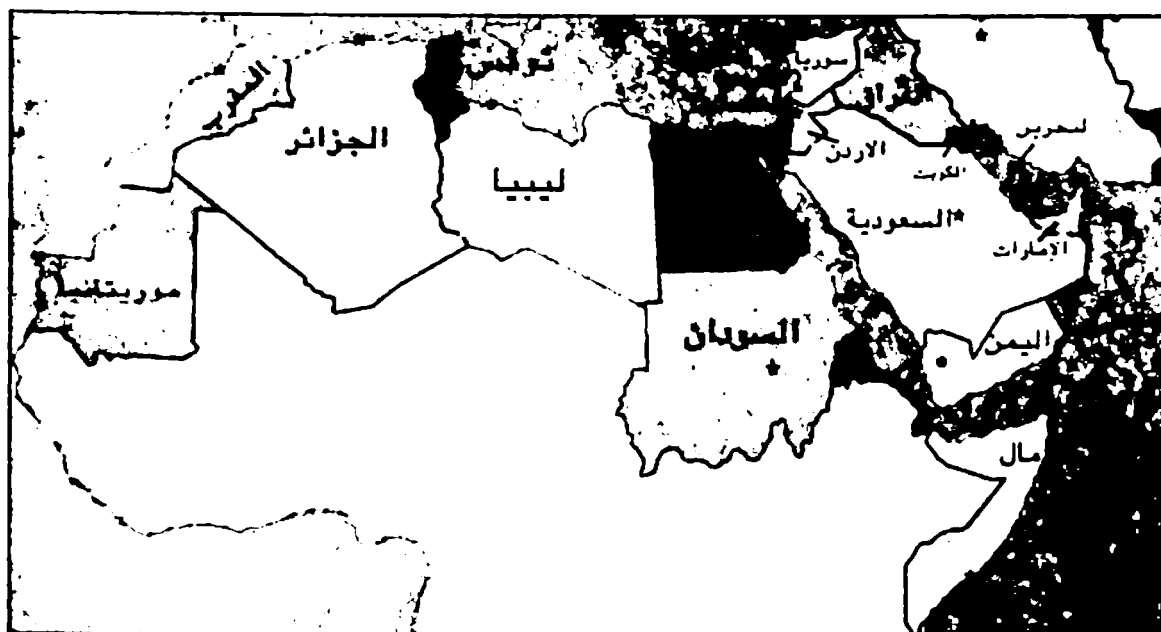
الخوير - العاصمة مسقط

ليلة الإثنين: ٢٨ صفر ١٤٣٦هـ / ٢١ ديسمبر ٢٠١٤م

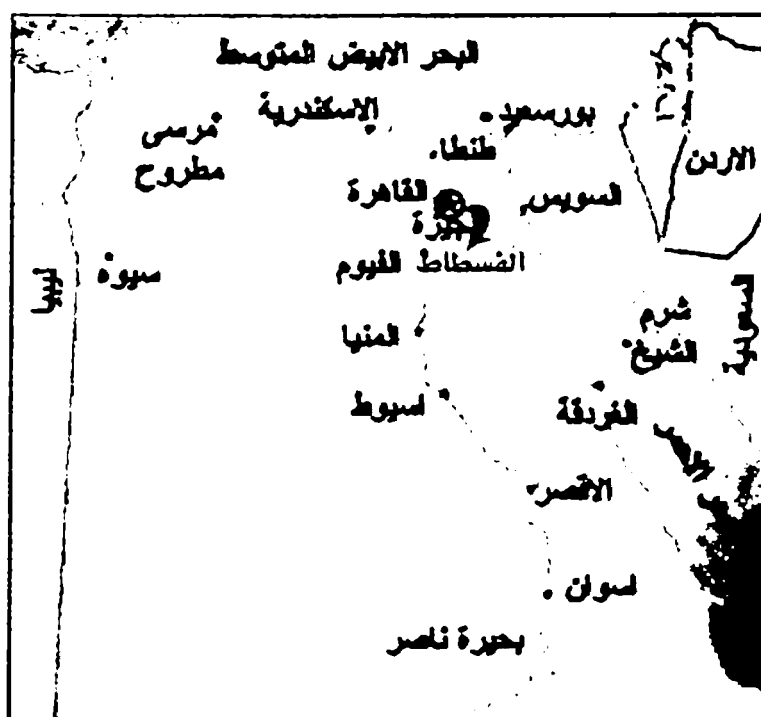
(١) محمد بن عبد الله السالمي، بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد،

مكتبة الاستقامة، ط ٣: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٣.

ملحق الخرائط



خريطة الوطن العربي



خريطة مصر - موقع مدينة الفسطاط -

المراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) إبراهيم اطفيش الجزائري، المنهاج، مكتبة الضامري، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- (٣) إبراهيم القادري، التواصل الحضاري بين عمات وبلاد المغرب، ط ١: ٢٠٠٠م، جامعة السلطان قابوس.
- (٤) ابن سلام الإباضي، الاسلام وتأريخه من وجه نظر إباضية، دار اقرأ، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٥) أبو بكر بن العربي المالكي، العواصم من القواصم، دار الجيل، بيروت، ط ٢: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- (٦) أبو سعيد عبد الرحمن الصدفي، تأريخ ابن يونس الصديق، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- (٧) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٢٥هـ.
- (٨) أحمد أمين، ظهر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٢٥هـ.
- (٩) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٤٢١هـ.
- (١٠) أحمد بن حمد الخليلي، الاستبداد مظاهره ومواجهته، ط ١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- (١١) أحمد بن حمد الخليلي، الحق الدامغ، مكتبة الضامري، مسقط، ط ٢، ١٩٩٢م.

- (١٢) أحمد بن حمد الخليلي، أماكن انتشار المذهب الإباضي في شمال إفريقيا، مكتبة الضامري، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.
- (١٣) أحمد بن سعود السيابي، التواصل الإباضي بين عُمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، مسقط، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٤م.
- (١٤) أحمد بن سعود السيابي، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر، مكتبة الضامري، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- (١٥) أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، وزارة التراث والثقافة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- (١٦) أحمد بن سعيد الشماخي وداود بن إبراهيم التلاتي، مقدمة التوحيد شروحها، وزارة التراث والثقافة - مسقط، ١٩٨٩م.
- (١٧) أحمد بن عبد الله العزيزي، تجارة عُمان الخارجية عبر العصور التاريخية، مركز الذاكرة للنشر والإعلام، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- (١٨) أحمد مهني سعيد مصلح، الوقف الجربي في مصر ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين (وكالة الجاموس نموذجاً) الأمانة العامة للأوقاف، الكويت، ٢٠١٢م.
- (١٩) إسماعيل الأغبري، المدخل إلى الفقه الإباضي، مكتبة الضامري، مسقط، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- (٢٠) إسماعيل بن صالح الأغبري، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا، مكتب الإفتاء، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- (٢١) الأطلس المدرسي، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عُمان، دار النهضة، ٢٠٠٥م.
- (٢٢) أم تش كاسترس - بيلوغرافيا الإباضية، ج ١، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ط ١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

- (٢٣) بشر بن غانم الخرساني، مدونة ابن غانم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- (٢٤) بكر محمد إبراهيم، كيف دخل الإسلام مصر، ص ١١، مركز الراهة القاهرة، ط ١: ٢٠٠٧م.
- (٢٥) بيير كوبرلي، مدخل إلى دراسة الإباضية وعقيدتها، دار الفرقد، ٢٠١١م.
- (٢٦) جريدة الأهرام المصرية.
- (٢٧) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضر في تاريخ مصر والقاهرة، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- (٢٨) جميلة بنت علي الربخية، إضاءات من دور الإباضية في توحيد الأمة، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عُمان، ٢٠٠٦م.
- (٢٩) حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي، ط ٣: ١٩٨٦م.
- (٣٠) حسين عبيد غانم غباش، عُمان الديمقراطية الإسلامية، دار الجديد، بدون تاريخ.
- (٣١) حفيظ بن عيسى الراجحي، عُمان منذ فجر التاريخ حتى الحاضر، المصنع الوطني للطباعة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- (٣٢) حمود بن عامر الصوافي، الإباضية في خراسان سياسيا وعلميا، ص ٣٥، (بحث تخرج ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- (٣٣) خلفان بن جميل السيابي، سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، ط ٢ وزارة التراث والثقافة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.
- (٣٤) رجب محمد عبد الحليم، الإباضية في مصر والمغرب وعلاقتهم بإباضية عُمان والبصرة، مكتبة الضامري ١٩٩٠م.
- (٣٥) سالم بن حمود السيابي، طلقات المهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، ١٩٨٠م.

(٣٦) سالم بن عبد الله الحارثي، العقود الفضية في أصول الإباضية، وزارة التراث والثقافة.

(٣٧) سرحان بن سعيد الأزكوي، كشف الغمة، وزارة التراث والثقافة، ط ٣: ١٤٣٣هـ/٢٠١٣م.

(٣٨) سلطان بن مبارك الشيباني، الشيخ محمد الدهان أنموذج التواصل الثقافي بين العلماء العُمانيين والأزهريين، ٢٠١٣م (غير منشور بحوزتي).

(٣٩) سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، عمرو النامي مسيرة عطاء في درب الخير، مكتبة الأنفال، ط ١: ١٤٢٩هـ.

(٤٠) سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني، قبسات من أنوار البدر الزاهر، الأجيال، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٤١) سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد.

(٤٢) سليمان باشا الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، دار الحكمة، ط ١: ٢٠٠٥م.

(٤٣) صالح الهطالي، دور المذهب في التأثير والتأثر، مذكرة بحوزتي.

(٤٤) صالح باجيه، الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار أبو أسامة، تونس، ١٩٧٦م.

(٤٥) صالح بن داود يوسف، من لا يعرف الإباضية، مطبعة الواحات، غرداية، ١٤٣٠هـ.

(٤٦) عامر بن علي الشماخي، كتاب الإيضاح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٤٧) عبد الله بن حميد السالمي، بلوغ الأمل في المفردات والجمل، موقع بصيرة، ط ٢: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

- (٤٨) عبد الله بن حميد السالمي، جوابات الامام السالمي، مكتبة الامام السالمي سلطنة عُمان، ط ٢: ٢٠١٠م.
- (٤٩) عبد الله بن حميد السالمي، معارج الآمال على مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال، مكتبة الامام السالمي، سلطنة عُمان، ٢٠٠٨م.
- (٥٠) عبد الله بن حميد السالمي شرح الجامع الصحيح، مسند الامام الربيع بن حبيب الفراهيدي، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، ١٩٩٣م.
- (٥١) عبد الله بن حميد السالمي، بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، مكتبة الاستقامة، ط ٣: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- (٥٢) عبد الله بن حميد السالمي، جوابات الإمام السالمي، مكتبة الإمام السالمي، ٢٠١٠م.
- (٥٣) عبد الله بن حميد السالمي، معارج الآمال، مكتبة السالمي، ٢٠١٠م.
- (٥٤) عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مكتبة الضامري، ط ٣: ٢٠٠٧م.
- (٥٥) علي بن محمد الحجري، الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات، مكتبة الجيل الواعد، بدون تأريخ.
- (٥٦) علي يحيى معمر، الإباضية في مواكب التاريخ، مكتبة الضامري، سلطنة عُمان.
- (٥٧) عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، مطابع النهضة، ٢٠١١م.
- (٥٨) عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، وزارة العدل والأوقاف والشؤون الدينية، بدون تأريخ.
- (٥٩) عوض محمد خليفات، نشأة الحركة الإباضية، مطابع دار الشعب، الأردن، ١٩٧٨م.

- (٦٠) فرحات الجعيري، البعد الحضاري للقاعدة الإباضية، مطبعة الأولية الحديثة، ١٩٨٩م.
- (٦١) فهد بن علي بن هاشل السعدي، لقاءات سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عُمان الفكر والدعوة، مكتبة الأنفال، بدون تاريخ.
- (٦٢) فيديو بعنوان «ندوة العلماء العُمانيون والأزهريون والقواسم المشتركة» مكتبة جامعة السلطان قابوس.
- (٦٣) مبارك بن عبد الله الراشدي، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، مطابع الوفاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- (٦٤) مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- (٦٥) محمد الزيني، شهداء الفكر، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- (٦٦) محمد الزيني، منهج للحوار بين اتجاهات الفكر الإسلامي، دار اليقين، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- (٦٧) محمد بن عبد الله السيفي، النмир حكايات وروايات، ط ١: ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- (٦٨) محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
- (٦٩) محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٣١٥هـ.
- (٧٠) محمد شعبان، حياة الشيخ سليمان الباروني، في المهجر، تخرج في كلية العلوم الشرعية، ٢٠١١م.
- (٧١) محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، مكتبة الاستقامة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

- (٧٢) محمد علي الصلبي، حصاد ندوة العلاقات العُمانية المصرية، وزارة التراث والثقافة، ١٩٩١م.
- (٧٣) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثروتها المباركة، المطبعة العربية، الجزائر، ١٩٦٩م.
- (٧٤) محمد قرقرش، تاريخ الاسلام في إفريقيا مع دراسة للدور العُماني، بسمة للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.
- (٧٥) محمد قطب، كيف نكتب التاريخ الإسلامي، دار الوطن، ١٤١٢هـ.
- (٧٦) محمد كمال، مائة كتاب إباضي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عُمان، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- (٧٧) محمد ناصر، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، مكتبة الضامري، ط ٢: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- (٧٨) محمد نمر المدني، الإباضية أهل الحق والاستقامة، ط ٤ دار دمشق، ٢٠١١م.
- (٧٩) مسلم بن سالم بن علي الوهبي، ورقة عمل بعنوان: الإباضية في منظومة الأزهر ٢٠١٣م (غير منشورة بحوزتي).
- (٨٠) مسيرة الخير، وزارة الإعلام، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٤م.
- (٨١) مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذهب، الدار المصرية اللبنانية، ط ١٦ - ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- (٨٢) مقابلة مع أ.د. محمد الزيني بمكتبه في كلية العلوم الشرعية يوم الاثنين بتاريخ ٢٠/١٠/٢٠١٤م.
- (٨٣) مقابلة مع المنير عبد الحميد بن سعدون بسكن الداخلي لطلبة كلية العلوم الشرعية بتاريخ ٢٣/٧/٢٠١٣م.

(٨٤) مقابلة مع أ. د. مشرح علي التمساح، بمكتبه في كلية العلوم الشرعية يوم الإثنين بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٥ م.

(٨٥) المنير عبد الحميد بن سعدون، سليمان باشا الباروني وحضوره في الثقافة العُمانية، الملتقى العلمي التاسع، ورقة عمل بحوزتي).

(٨٦) مهدي طالب هاشم، الحركة الإباضية في المشرق العربي، دار الحكمة، ط: ٢٠٠٣ م

(٨٧) ناصر بن سليمان السابعي، من روائع السلف، ط: ١٣٣٤هـ/٢٠١٣ م.

(٨٨) ندوة العلاقات العُمانية المصرية، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٩١ م.

(٨٩) انظر: بكر محمد إبراهيم، كيف دخل الإسلام مصر، مركز الراية القاهرة، ط ١: ٢٠٠٧ م

(٩٠) عبد الله بن حميد السالمي، اللمعة المرضية، مكتبة مسقط، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤ م.

(٩١) ياقوت الحموي، معجم البلدان دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩ م.

(٩٢) يحيى محمد بكوش، فقه جابر بن زيد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦ م.

(٩٣) يوسف بن يعقوب المعولي، سليمان باشا الباروني وآرائه في الإصلاح السياسي والفكري، بحث تخرج في كلية العلوم الشرعية، ١٩٩٦ م بإشراف أ. د. محمد الزيني.

فهرس البحث

إهداء.....	٧
ملخص البحث.....	٩
أصل البحث.....	٩
أهمية البحث.....	٩
خطة البحث.....	١٠
المقدمة.....	١٥
المنهج المتبع في البحث.....	١٧
الفصل الأول: الوجود الإباضي في مصر وأسبابه.....	١٩
المبحث الأول: الوجود الإباضي في مصر.....	٢١
المبحث الثاني: عوامل انتشار المذهب الإباضي في مصر.....	٣٣
• المطلب الأول: التسامح في المذهب الإباضي.....	٣٣
• المطلب الثاني: طبيعة مصر.....	٣٩
• المطلب الثالث: الاستبداد السياسي في مواجهة المذهب الإباضي.....	٤٣
• المطلب الرابع: وجود الأزدي في مصر.....	٤٦
• المطلب الخامس: الحجج.....	٥٣

٥٦.....	المطلب السادس: التجارة
٦٠.....	المطلب السابع: حملة العلم (وجود العلماء من الإباضية)
٦٧.....	المطلب الثامن: طلب العلم
٧٣.....	الفصل الثاني: دور الإباضية في مصر
٧٥.....	تمهيد
٧٧.....	المبحث الأول: دور الإباضية الديني
٨٣.....	المبحث الثاني: دور الإباضية السياسي
٩٢.....	المبحث الثالث: دور الإباضية الاجتماعي
١٠٥.....	المبحث الرابع: دور الإباضية في التنمية الثقافية
١١٩.....	المبحث الخامس: دور الإباضية في التنمية الاقتصادية
١٢٣.....	الفصل الثالث: التواصل بين مصر والإباضية
١٢٥.....	تمهيد
١٣٠.....	المبحث الأول: التواصل المصري مع إباضية المشرق
١٣٥.....	المبحث الثاني: التواصل الإباضي المصري المغربي
١٣٨.....	المبحث الثالث: الإباضية ومصر في الوقت الحاضر
١٤٧.....	الخاتمة
١٥٠.....	ملحق الخرائط
١٥١.....	المراجع
١٥٩.....	فهرس البحث

